

- مغاير شَعَيب ليست مَدْيَن
- شوبان الأسطورة الموسيقية
- فن الخزف بآسفي

محرقة غزة

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٠٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية



يجيء غلاف هذا العدد مخالفاً ما تعودناه في كل عدد، إذ فرضت الأحداث العاصفة التي تعرضت لها غزة نفسها على الشارع العربي، فجاء الغلاف تضامناً معها وهي تتعرض لهذه المذبحة الوحشية على أيدي النازية الإسرائيلية.

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع

- من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل:
- عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠ دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢... سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢. ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧. فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

تنويه وتصحيح

شرفتني مجلة الفيصل في عددها الأخير (٣٨٩ - ٣٩٠)، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٩هـ، بنشر قصيدتي (نخلة العمر) فيها، وهذا من فضلها وكرمها، في سبيل خدمة الإبداع السعودي والعربي نثراً كان أو شعراً، ودور المجلة الريادي في مجلاتنا الثقافية.

أشكر الإدارة الرائعة على إهدائي نسخة من العدد الأخير، فقد وصلني إلى مكتبي في الإشراف التربوي في التربية والتعليم في جدة، وأشكر الجميع على هذا العدد المميز.

وأشير إلى خطأ ورد في تنسيق المقطع الأخير من القصيدة، وتصحيح المقطع كما يلي:

هذه الدنيا ملاذ آمن

للكسالى، إنهم آفات عصري

تلتقي فيهم جهالات الورى

كالسراب المر في الصحراء يغري

جذوة الإبداع ناموس يرى

كل شيء، إنه يغدو ويسري

يلد الطهر المصفى كالندى

ينبت الأرواح، يبنيها ويطري

ويحيي الخير، يروي دربه

يبعث الأشواق في رمضاء قفر

نخلة الخير التي أعرفها

رسمت في خاطري المكدود عمري!

وإلى الأمام دائماً يا مجلتنا الغراء.

ولكم فائق شكري وتقديري.

سالم بن رزيق بن عوض

المشرف التربوي - إدارة التربية والتعليم

جدة

التحرير:

نعتذر لكم عن هذا الخطأ غير المقصود، ونأمل استمرار تعاونكم، شاكرين لكم اهتمامكم بالتواصل.

لماذا؟

بعد أن استبشرنا بانتهاء مشكلة العدد المزدوج، وتعهدكم في عدد المحرم ١٤٢٩هـ (العدد ٣٧٩)، بأن المجلة ستعاود الصدور شهرياً، وأن العدد المزدوج كان لأسباب اقتصادية، هالنا صدور عدد مزدوج جديد (عدد رجب - شعبان ٣٨٥ - ٣٨٦)، وبعدد صفحات العدد الشهري العادي نفسه (أي نحو ٩٥ صفحة)، فما الداعي إلى ذلك؟ وإلى متى ستظل «الفيصل» غير قادرة على الظهور شهرياً بانتظام؟ ما الذي يدفع بعض الإصدارات السعودية إلى الظهور بداية كل شهر عربي، وتعجز الفيصل عن الإيفاء بمدلول كلمة مجلة ثقافية شهرية؟!

لا بد من مراجعة كثير من الجوانب في المجلة حتى لا تفقد بريقها، وهي التي تصدر عن إحدى المؤسسات الإعلامية العريقة في المملكة، أين الفيصل من سنوات الثمانينيات والتسعينيات؟! وهي قادرة بإذن الله على العودة إلى الإشعاع من جديد متى توافرت الإرادة والإمكانيات المادية والبشرية.

والسلام.

نبيل البواب

٢٥٥ الحي السادس

٥٠٠٠ المنستير - تونس

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام، وأسئلتك تبدو مشروعة جداً، ونأمل تجاوز هذه المرحلة قريباً، ولا تنس الظروف المحيطة بالقارئ نفسه، فقد



أصبحت القراءة بالنسبة إلى كثيرين ترفاً سواء لضيق ذات اليد أم لضيق الوقت، والله نسأل أن يزيد من أمثالك من القراء الذين يبحثون عن الثقافة الجادة في مظانها.

العروبة والإسلام

تعود معرفتي لفيصل العروبة والإسلام - رحمه الله - إلى سبعينيات القرن الماضي وأنا طالب في جامعة الخرطوم، حيث سنحت لنا فرصة نادرة لحضور مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، الذي عرف بمؤتمر اللاءات الثلاث، حيث كان للفيصل موقف حازم لمواجهة الطغيان الإسرائيلي، فوضع الله محبته في قلوب العرب والمسلمين، إذ تمثلت فيه صفات القائد المنتظر لإنقاذ كرامة الأمة مما لحق بها من جراء التعديات الصهيونية المتكررة على بيت المقدس.

ولم يمضِ وقت طويل حتى صدرت مجلتكم العامرة التي تنضح بالثقافة المتنوعة في الأدب والفن والعلوم والتقنية، التي تدعمها مقالات كتاب من مختلف بقاع العالمين العربي والإسلامي، فأضاءت معالم طريق الثقافة، هذا فضلاً عن مستوى الإخراج الفني الممتاز الذي ازدانت به معالمها، فكل تلك الأسباب جعلت القلوب معلقة بها، فحرصت حرصاً شديداً منذ ذاك الوقت على قراءتها، وما زلت على عهدي بها حتى الآن.

وبصفتي الصحفية نشرت لي مقالات متفرقة في كثير من الصحف السودانية، وعنّت لي فكرة الكتابة عن مسقط رأسي مدينة (سواكن)، فتحقق لي ذلك، ومن ثم تكررت كتاباتي عنها، وهذا الأمر شجعني على كتابة مقال شامل عنها، فتم المراد بحمد الله، ولكنني أحسست أن حجم المقال لا يتناسب وسياسات الصحف اليومية، فكان لا بد من الارتقاء به إلى مصاف المجلات، فوقع اختياري على مجلتكم العامرة، إعجاباً بشروطها المحكمة في النشر، فاتخذتها فرصة لوضع نفسي موضع الاختبار، ولكم سرتني موافقتكم الكريمة على نشر مقال «سواكن.. المدينة البيضاء»، وسرني أكثر المنحة الكريمة التي تقدمونها للكتّاب تشجيعاً لهم للجهود المضنية التي يبذلونها للارتقاء بالثقافة العربية. فلكم الشكر أجزله، وآمل صادقاً المواصلة في دعمكم بالمقالات المفيدة متى ما سمحت مشغوليات الحياة اليومية بذلك.

وإلى اللقاء في رحاب الصحافة التي قال عنها شوقي أمير الشعراء:

لكل زمان مضى آية
وآية هذا الزمان الصحف

وشكراً..

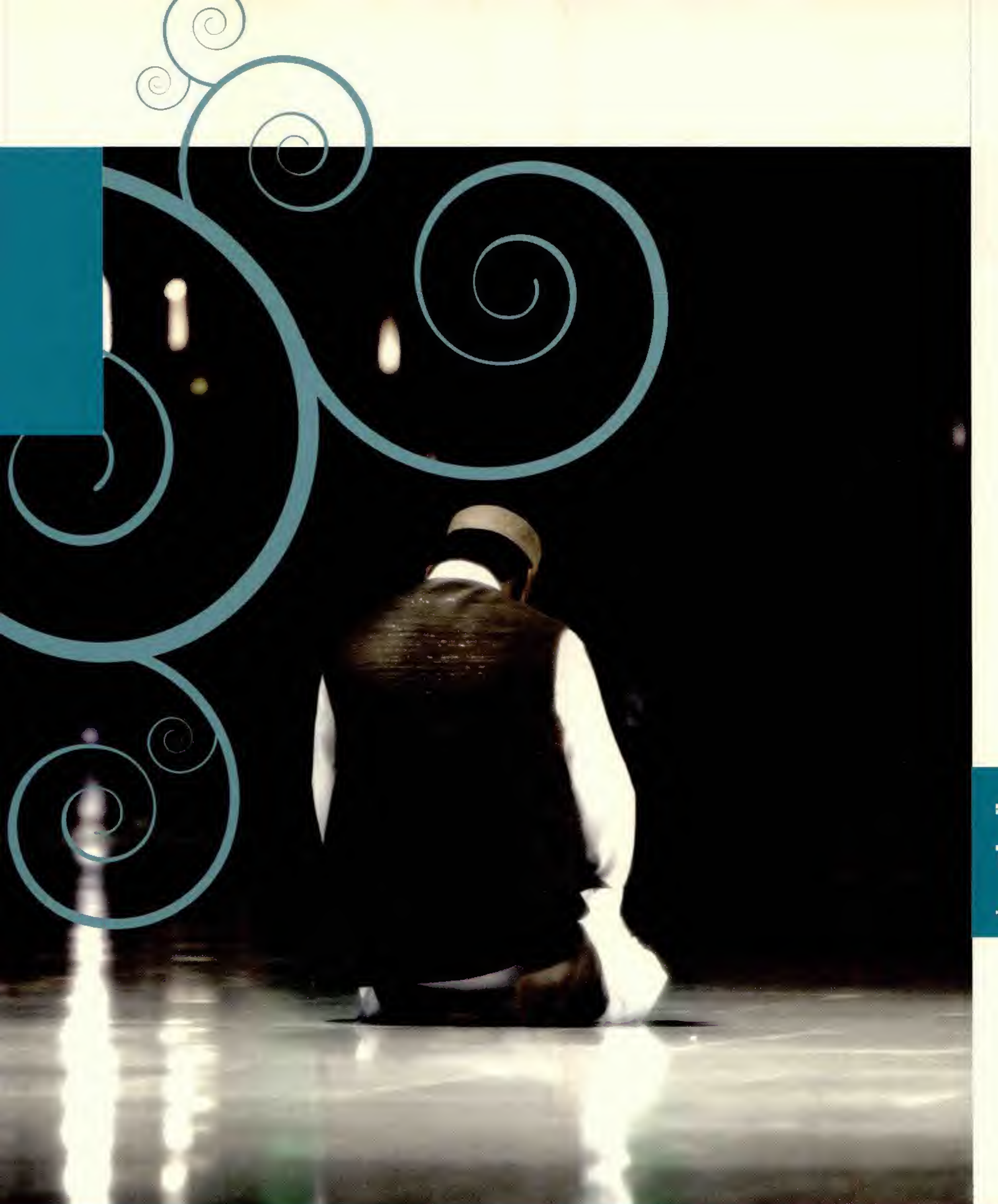
محمد أحمد عبدالرحيم الحيدرابي

الرياض

التحرير

نشكر لكم تواصلكم، وسعدنا بمشاركتكم القيمة، ونأمل في المزيد، ونقدر لك هذا الوفاء لمجلتك.. مع خالص الدعاء بالتوفيق.





المساجد

التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

هزاع بن عيد الشمري

السعودية - الرياض

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ١١٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ التوبة: ١٨.

وقال تعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ التوبة: ١٠٨.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن: ١٨.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، من كتاب الصلاة في صحيح البخاري.

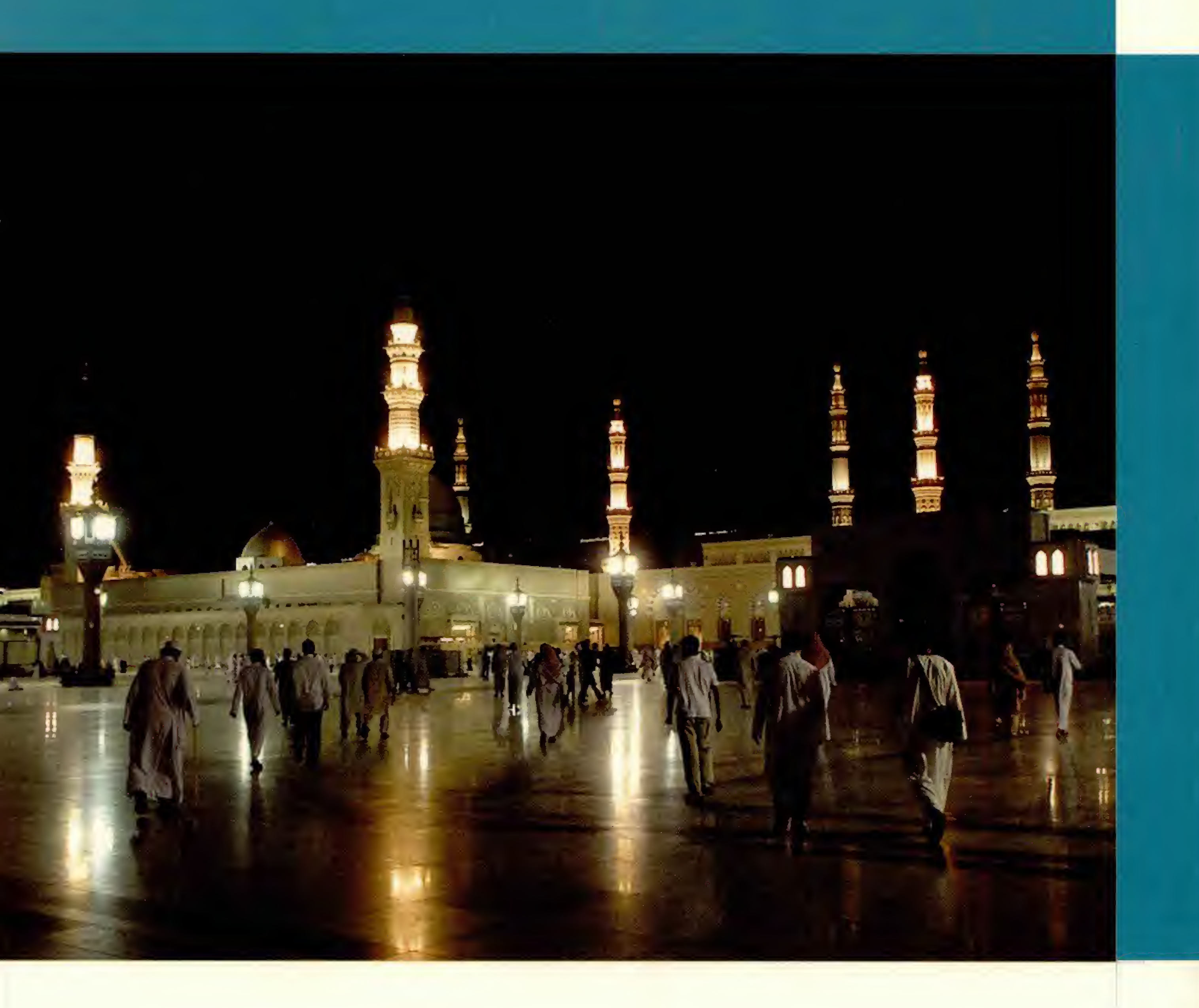
فالمَسْجَد والمَسجِد: الذي يُسجدُ فيه، وسَجَد: خضع، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد. لسان العرب (سجد).

في هذا الطور نثرت كنانتي، وصرتُ أبحث بعناية عن تلك المساجد التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بُنيت على مواضع سجداته صلى الله عليه وسلم في حياته، وذلك في بطون الكتب ومظانها، فلم أجد إلا ستة وأربعين مسجداً، لا يمكن أن تكون إلا من هذه التي ذكرتها، أما المساجد الأخرى التي قيل: إنه بناها، وصلى فيها، فإنها محض ظن لا يستند إلى حقيقة بينة[1].

وكان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد بسيطاً، وكان البناء بسيطاً، فجدار المسجد من اللَّبن، وسَقْفُه الجريد، وعُمُده خَشَبُ النخل، ولم ينمقه أو يزين جدرانه بآيات قرآنية أو ما شابه ذلك، ولم ينقل إليه مؤنة من بلد بعيد، أو يأتي ببنائين مهرة كما هي الحال عليه فيما بعد.

ومن الملاحظ كثرة مساجد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوته تبوك، وهي آخر غزوة غزاها بنفسه، فقد بلغت خمسة وعشرين مسجداً، كلها كانت في ذلك الطريق، وهو أمر لم يفعله صلى الله عليه وسلم في غزواته الأخرى. ولا نعلم عن سبب ذلك شيئاً إلا كون تلك المنطقة تقترب من نصارى الشام ويهودها، كما أنها تقترب من حدود الدولة الرومانية وقت ذاك، فهو يريد ترسيخ الإسلام ببناء المساجد وتعميرها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾.

وكثير من تلك المساجد قد اندثر أو اندثرت معالمه، أو عَدَتْ عليه عوادي الدهر، أو انقرضت تلك المدن أو القرى أو العُزل التي بُني فيها المسجد، وبالتالي كان مصير المسجد مصيرها. ولم يبق منها إلا القليل، مثل مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة التي تشد إليه الرحال، روى البخاري بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى»[2]، وهو من المساجد المقدسة بعد مسجد بيت الله الحرام؛ قال البخاري بسنده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سِواهُ إلا المسجد الحرام»[3]. ومسجد قباء



والقبلتين، وغيرهما قليل جداً وهذه مساجده :

١- مسجد الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند الصفا بمكة[٤].

٢- مسجد بأعلى مكة عند الردم الأعلى عند بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، يقال: إن النبي صلى فيه[٥].

٣- مسجد (الحَرَس) أو مسجد الجن في طرف الحَجون بأعلى مكة[٦].

٤- مسجد (البيعة)، بيعة الأنصار، ليلة العقبة، عقبة مِنى[٧].

وأظن أنه بُني على هذه الأماكن مساجد فيما بعد.

٥- مسجد في جبل (حراء) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه ويعتكف فيه الأيام[٨].

٦- مسجد في جبل (ثور) في طريق عُرَنَة. وهو الغار الذي ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠[٩].

٧- وفي هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، كان دخوله عليه

السلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، وكان نزوله في حال موافاته المدينة (بقُباء) على سعد بن خيثمة الأنصاري، وابتنى المسجد، وهو المسجد الذي أُسِّس على التقوى، وصلى فيه صلى الله عليه وسلم فمكث بضع عشرة ليلة[١٠]، ثم سار من (قباء) حتى أدركه وقت الزوال وهو في هُزْم بني بياضة في دار بني سالم بن عوف فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك في وادٍ يقال له: وادي

٨- (رانوناء)، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة، ثم ركب راحلته، وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله بالمدينة.

٩- مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال البخاري: حدثنا مسدد قال: حدثنا عبدالوارث عن أبي التيَّاح عن أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يُقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف كأنّي أنظر إلى النبي على راحلته وأبو بكر رِدْفُهُ وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يحبُّ أن يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وأنَّه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى مَلأ من بني النجار فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكُمْ هذا، قالوا: لا والله لا نَطْلُبُ ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكُمْ: قُبور المشركين، وفيه خَرِبٌ، وفيه نخلٌ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنُبشت، ثم بالخَرِبِ فسويتْ، وبالنخل فقُطع، فصفُّوا النخلَ قِبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقُلُون الصَّخْرَ وهُمْ يرتجزون والنبي صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول:

اللـهُـمَّ لا خـيـرَ إلا خـيـرُ الآخـرة

فـاغـفـرْ لـلأنـصـار والمـهـاجـرة[١١].

قال البخاري: ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِرْبداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حَجْر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته: هذا إن

كثير من المساجد اندثر أو اندثرت معالمه، أو عَدَتْ عليه عوادي الدهر، أو انقرضت تلك المدن أو القرى أو العُزل التي بني فيها المسجد، فكان مصير المسجد مصيرها

شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هـذا الحِـمـالُ لا حِـمـالُ خـيـبرْ

هـذا أبـرُّ ربَّـنـا وأطـهـرْ

ويقول:

اللـهـم إنَّ الأجْـرَ أجـر الآخـرة

فـارْحَـم الأنـصـار والمـهـاجـرة[١٢].

وكان منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثْل الغابة. وفي رواية: من طرفاء الغابة، والغابة: غيضة ذات شجر كثير، وهي على تسعة أميال من المدينة[١٣]، وكانت الصلاة يومئذ إلى بيت المقدس[١٤].

ولما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسع المسجد، وكلم العباس بن عبد المطلب في بيع داره ليزيدها فيه، فوهبها العباس لله والمسلمين، فزادها عمر في المسجد، ثم إن عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه في خلافته بالحجارة والقصة، وجعل عُمُدَه حجارة، وسقفه بالساج، وزاد فيه، ونقل إليه الحصباء من العقيق. وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم، بناها بحجارة منقوشة، ثم لم يحدث فيه شيء إلى أن ولي الوليد بن عبدالملك بعد أبيه فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز، وهو عامله على المدينة، يأمره بهدم المسجد وبنائه، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من أهل الشام ومصر، فبناه وزاد فيه، وولي القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان مولى سعدى مولاة آل معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، وذلك سنة سبع وثمانين[١٥].

١٠- مسجد (القبلتين) أو مسجد بني سلمة، وصرفت القبلة إلى الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم يصلي فيه، وذلك في السنة



الثانية للهجرة[١٦]. وأرى ويرى غيري أنه بني المسجد في عصره، ولم يقم ببنائه.

١١- مسجد (التنعيم): وهو على أربعة أميال من مكة[١٧].

١٢- مسجد (الحديبية): وهي الشميسي اليوم[١٨].

١٣- مسجد بذي (طوى) عند مفرق الطريقين: طريق التنعيم، وطريق جدة، يقال له: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أزيل في التوسعة[١٩].

١٤- مسجد ذي (الحليفة): وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى مكة من المدينة يصلي بمسجده بذي الحليفة ببطن الوادي، ثم يبيت حتى يصبح[٢٠].

١٥- مسجد (الشجرة): وهو الذي دون يأجَج، وكان النبي يبدأ بالمسجد الذي كانت الشجرة عنده إذا ذهب إلى مكة، فإن وجده فارغاً صلى فيه، وإن لم يجده فارغاً ذهب إلى المسجد الآخر فصلى فيه[٢١]. وعبارة الفاكهي هذه: «فإن وجده فارغاً...» تؤكد أن المسجد كان مؤسساً، ولا نظن أن تأسيسه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٦- مسجد (عَصَر) بفتحتين، وعصر هذا جبل بين المدينة ووادي الفُرْع، ففي سنة سبع من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر، وبساحتها ابتنى مسجداً، وهو مسجدهم اليوم[٢٢].

١٧- مسجد (بحرة الرُّغاء): ففي السنة الثامنة للهجرة كانت غزوة الطائف، فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حُنين إلى الطائف على نخلة اليمانية ثم على قرن، ثم على المُليح، ثم على بحرة الرُّغاء من لية، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه، وكان يبني بيده وأصحابه ينقلون إليه الحجارة[٢٣].

١٨- مسجد بالطائف: فلما أسلمت ثقيف بنى أمية بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك على مصلاه صلى الله عليه وسلم مسجداً، وكانت فيه سارية لا تطلع الشمس عليها من الدهر إلا يُسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار[٢٤].

١٩- مسجد بالجِعْرانة أو الجِعرَّانة[٢٥]: ومن الظاهر أنه بني المسجد على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد.

٢٠- مسجد سيدنا رسول الله بالجُحفة حول غدير خَمّ بين مكة والمدينة[٢٦].

٢١- مسجد عِرق الظُّبْيَة، بضم الظاء المعجمة، موضع على ثلاثة أميال من الروحاء به مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢٧].

٢٢- مسجد بذي خُشُب: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٢٨]، وهو على ليلة من المدينة.

٢٣- مسجد بالفيفاء: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٢٩].

٢٤- مسجد بذي المَروة: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٠].

٢٥- مسجد السُّقْيا: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣١].

٢٦- مسجد بوادي القرى: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٢].

٢٧- مسجد بالحِجْر: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٣].

٢٨- مسجد بذنب حَوْصاء: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٤].

٢٩- مسجد بذات الحِيفة: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٥]، وهي من صدر حَوْصَاء.

٣٠- مسجد بتاراء، وهو بشق تاراء مما يلي جَوْبَر: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٦].

٣١- مسجد بذات الخَطْماء أو الخطميّ: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٧].

٣٢- مسجد بَسَمَنَة: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٨].

٣٣- مسجد بالإخْضَر: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٣٩]، على بعد ستين كيلو متراً من تبوك.

كان منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثْل الغابة، وفي رواية: من طرفاء الغابة، والغابة: غيضة ذات شجر كثير، وهي على تسعة أميال من المدينة

٣٤- مسجد بذات الزِّراب: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤٠].

٣٥- مسجد بثنية مِدْران: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤١].

٣٦- مسجد بألاء: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤٢].

٣٧- مسجد بطرف البتراء من ذنب الكواكب: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤٣]. وقد يكون هو مسجد كُويكب.

٣٨- مسجد كُويكب: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤٤].

٣٩- مسجد بصدر حَوْضى: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[٤٥].

٤٠- مسجد بالصعيد: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله

الهوامش والمصادر:

(١) انظر هذه المساجد في مكة المكرمة من ص ١٩٩/٢ حتى ٢٠٣/٢ في أخبار مكة للأزرقي. وفي المدينة: تاريخ المدينة لابن شبة ٧٥/١، والتحفة اللطيفة للسخاوي ٣٨/١ حتى ٤٢/١.

(٢) من كتاب الكسوف من صحيح البخاري.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفاكهي ١٢/٤.

(٥) المصدر السابق ١٩/٤.

(٦) المصدر السابق ٢٦/٤.

(٧) الفاكهي ٢٦/٤.

(٨) المصدر السابق ٣٦/٤.

(٩) المصدر السابق ٣٥/٤.

(١٠) انظر: صحيح البخاري ٣٣٤/٢، ولسان العرب: (هزم)، والبداية والنهاية ٢١٣/٣، ومروج الذهب ٢٨٦/٢، وإمتاع الأسماع ٦٢/١، والطبري ٢٨٣/٢، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١١٢/٢ وما بعدها.

وعند البلاذري في فتوح البلدان: أن الذي ابتنى مسجد قباء هو سعد بن خيثمة، وانظر إلى نهاية الأرب ٣٤٥/١٦، وتاريخ خليفة ص٥٥، وآثار البلاد ص١٠٣.

(١١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، وانظر لسان العرب: (ضرب)، والطبري ٣٩٦/٢ وما بعدها.

(١٢) البخاري ٣٣٤/٢، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٨٦/٣.

وفي ابن هشام: اسم الغلامين سهل وسهيل ابنا عمرو، وهما يتيمان لمعاذ بن عفراء ١١٤/٢، وانظر إلى نهاية الأرب ٣٤٤/١٦ وما بعدها.

(١٣) لسان العرب: عيب.

(١٤) فتوح البلدان، ص١٧.

(١٥) فتوح البلدان، ص٢١.

(١٦) إمتاع الأسماع ٦١/١، ونهاية الأرب ٢٩٧/١٦.

(١٧) أخبار مكة للفاكهي ٥٦/٥.

(١٨) المصدر نفسه ٧٠/٥.

(١٩) المصدر نفسه ٢٧/٤.

(٢٠) البداية والنهاية ١١٢/٥.

(٢١) أخبار مكة للفاكهي ٣٥/٤.

(٢٢) انظر المغازي للواقدي ص٦٤٢، لسان العرب: (عصر)، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٣٨٠/٣، والبداية والنهاية ١٨١/٤.

(٢٣) انظر المغازي للواقدي ص٩٢٤، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١٢٦/٤، والبداية والنهاية ٣٤٦/٤، والطبري ٨٣/٣.

(٢٤) المغازي للواقدي ص٩٢٧، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٨٤/٣.

(٢٥) أخبار مكة للفاكهي ٦٥/٥.

(٢٦) لسان العرب: (خمم).

(٢٧) لسان العرب: (ظبا).

(٢٨) المغازي للواقدي، ص٩٩٩، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١٨٦/٤.

(٢٩) المغازي للواقدي، ص٩٩٩.

(٣٠) المغازي للواقدي، ص٩٩٩، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١٨٦/٤.

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) المغازي للواقدي، ص٩٩٩.

(٣٣) المغازي للواقدي، ص٩٩٩، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١٨٦/٤، ولسان العرب: (حيف).

(٣٤) المصدر السابق، ولسان العرب: (تور).

(٣٥) المصدر السابق، ولسان العرب: (حظم).

(٣٦) المغازي للواقدي، ص٩٩٩.

(٣٧) المغازي للواقدي، ص٩٩٩، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١٨٦/٤، ولسان العرب: (خضر).

(٣٨) المصدر السابق، ولسان العرب: (زرب).

(٣٩) المصدر السابق، ولسان العرب: (مدر).

(٤٠) سيرة ابن هشام ١٨٦/٤.

عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[46].

٤١- مسجد بالرُّقعة من الشقة شقة بني عُـذرة: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[47].

٤٢- مسجد ثنية مَرْدان: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره لفتح تبوك[48]. وقد يكون هو: مِدران.

٤٣- مسجد تبوك: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضع حجراً قِبلة المسجد بيده.

٤٤- مسجد قُرْح: وهو سوق وادي القرى صلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه لفتح تبوك، وبُني فيه مسجد[49].

٤٥- مسجد جَوْض: من مساجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المدينة وتبوك.

٤٦- مسجد العُلا: نزل به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه لفتح تبوك، وبه مسجد. وهو مسجد الصخرة اليوم في البلد المهجور القديم من بلدة العلا، وقد رمم بالطين وسوّر.

(٤١) المصدر السابق.
(٤٢) لسان العرب: (كوكب).
(٤٣) سيرة ابن هشام ١٨٦/٤.
(٤٤) لسان العرب: (مرد).
(٤٥) المغازي للواقدي، ص١٠٢١، وسيرة ابن هشام ١٨٦/٤.
(٤٦) لسان العرب: (قرح).
(٤٧) لسان العرب (جوض).
(٤٨) لسان العرب (علا).
(٤٩) لسان العرب (قرح).

- القرآن الكريم.
- متن البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، دار إحياء الكتب العربية، الباني الحلبي، مصر.
- آثار البلاد وإخبار العباد، زكرياء القزويني، القرن السابع، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي، القرن الثالث الهجري؛ تحقيق: عبدالملك بن دهيش، دار خضر، ١٤١٤هـ، بيروت.
- أخبار مكة وما جاء من الآثار، محمد بن عبدالله الأزرقي، المتوفى سنة ٢٢٣هـ، تحقيق: رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥هـ؛ تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، دار الأنصار، ١٤٠١هـ، مصر.
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، بيروت. (د. ت).
- تاريخ خليفة بن خياط، المتوفى سنة ٢٤٠هـ؛ تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
- تاريخ المدينة المنورة، أخبار المدينة النبوية، عمر بن شبة، المتوفى سنة ٢٦٢هـ؛ تحقيق: فهيم شلتوت، الطبعة الثانية.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، المتوفى سنة ٩٠٢هـ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ، بيروت.
- التنبيه والإشراف، المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٦هـ، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
- الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تاريخ المدينة المنورة، السمهودي، المتوفى سنة ١٠١١هـ؛ تعليق: إبراهيم الفقيه، ١٤٠٣هـ.
- سيرة ابن هشام، المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨هـ؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٤٠١هـ.
- صفة جزيرة العرب، الحسن الهمداني، القرن الرابع الهجري؛ تحقيق: محمد الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ.
- صورة الأرض، ابن حوقل، كان حياً سنة ٣٣١هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- فتوح البلدان، البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، المكتبة العلمية، ١٣٩٨هـ، بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف بمصر.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٦هـ؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣٨٤هـ، مصر.
- المسالك والممالك، عبيدالله بن خُرّداذبه، المتوفى سنة ٣٠٠هـ، مصور مكتبة المثنى ببغداد، عن طبعة بريل، ١٨٨٩م.
- المغازي، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧هـ، مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
- مغازي رسول الله، عروة بن الزبير، المتوفى سنة ٩٤هـ؛ جمعه وحققه: محمد مصطفى الأعظمي، منشورات مكتب التربية العربي، الرياض، ١٤٠١هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب النويري، المتوفى سنة ٧٣٣هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصورة عن دار الكتب، مصر.



الملف

يقظة التنين الأكبر

المعجزة الاقتصادية الصينية

أحمد أحمد أحمد مطهر

صنعاء - اليمن



يعد صعود الصين من أقوى المؤشرات الرئيسة التي تقول لنا: إننا بصدد الخروج من مرحلة انعقد في مطلعها لواء لبريطانيا ثم لأمريكا، كبلدين يتمتعان بالثراء والتقدم والديمقراطية. والواقع أن الحقبة المقبلة سيكون فيها الثراء والقوة موضع تحكم وسيطرة على نطاق واسع، ولم يحدث من قبل في التاريخ أن كان الاقتصاد القائد في العالم اقتصاداً لم تكن الريادة فيه لنصيب الفرد من الدخل القومي ولمستويات المعيشة. والملاحظ أن يقظة التنين الصيني الأكبر، علاوة على اقتصاديات النمور الآسيوية، بما يتوافر لها من دينامية وحركية، أصبحت أشبه بالأساطير الاقتصادية على كل لسان منذ أواخر القرن الماضي. وتمثل هذه الاقتصاديات نقطة تحول في التاريخ الحديث. لقد استطاعت الصين أن تستعيد مكانتها التاريخية في قلب القارة، وبذا أصبح بإمكانها أن تصوغ القرن الحادي والعشرين على نحو ما فعلت الولايات المتحدة حين صاغت القرن العشرين.

مصنع العالم

والحقيقة المؤكدة هنا أن الصين أضحت تقوم اليوم بالدور ذاته الذي كانت تقوم به بريطانيا في القرن التاسع عشر، وهوالقيام بدور مصنع العالم، حيث تصنع الصين معظم اللعب والأحذية، وأيضاً نسبة ضخمة من المنسوجات والأجهزة الكهربائية المنزلية، كما أصبحت مستهلكاً رئيساً للمواد الخام والطاقة. ففي عام ٢٠٠٤م أصبحت الصين تستهلك ٧,٤٪ من الاستهلاك العالمي من النفط الخام، و ٣١٪ من استهلاك الفحم، و٣٠٪ من الحديد، و٢٧٪ من الصلب، و٢٥٪ من الألمونيوم، و ٤٠ ٪ من الأسمنت.

لقد حقق الاقتصاد الصيني خلال العقدين الأخيرين نتائج باهرة، خصوصاً في معدلات النمو الحقيقي والصادرات، وجذب الاستثمار الأجنبي، وتوجهت الصين للانفتاح على العالم الخارجي،



الصين ودور مصنع العالم في هذا العصر

رافعةً شعار: (ليخدم ما هو عالمي كل ما هو صيني). وفي حالة استمرار تنامي النمو الاقتصادي على ما هو عليه الآن، وبحسب تنبؤات معهد غولدمان ساكس، فإن الصين ستكون البلد رقم واحد من حيث حجم الاقتصاد على المستوى العالمي، تليها الولايات المتحدة، ثم الهند؛ وذلك بحلول عام ٢٠٥٠م.

وقد ذكر التقرير السنوي للبنك الدولي أن إجمالي الاستثمارات في الصين ارتفع إلى ٤٦.٨ مليار دولار بعد موافقتها على ٢٨ ألف مشروع أجنبي خلال عام ٢٠٠٢م، وذلك بزيادة قدرها ٣٤٪، بالإضافة إلى استثمارات تعاقدية بلغت ٧٥,٦ مليار دولار بزيادة قدرها ٢٠٪ خلال المدة نفسها. ويتوقع تقرير البنك أن تتجاوز الصين الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر دولة جاذبة للاستثمارات الأجنبية قبل نهاية العقد الحالي. فالاقتصاد الصيني يعتمد بالدرجة الأولى على الشركات المتعددة الجنسيات، وهي التي تتولى أساساً عمليات التصنيع في الصين، مستفيدة من عمليات التصدير الضخمة.



الصين أكبر مصدر لتكنولوجيا المعلومات في العالم

يرتبط ذلك بظاهرة اقتصادية أخرى، تتمثل في إقبال التجار في الأسواق الغربية على السلع الصينية الرخيصة، خصوصاً في الولايات المتحدة، هؤلاء التجار الذين يملكون شبكات ضخمة للتسويق يوفرون قناة لترويج الإنتاج الهائل للسلع الصينية الرخيصة.

في الماضي كانت «جنرال موتورز» تمثل رمزاً للرأسمالية الأمريكية، إذ كانت تمثل ما نسبته ١٠٪ من إنتاج كبرى شركات تجارة التجزئة في العالم. الآن أصبحت شركة «وول - مارت» كبرى شركات تجارة التجزئة في العالم تجلب السلع الصينية، التي تشكل أكثر من ١٠٪ من حجم الواردات الأمريكية طبقاً

حقق الاقتصاد الصيني خلال العقدين الأخيرين نتائج باهرة، خصوصاً في معدلات النمو الحقيقي والصادرات، وجذب الاستثمار الأجنبي

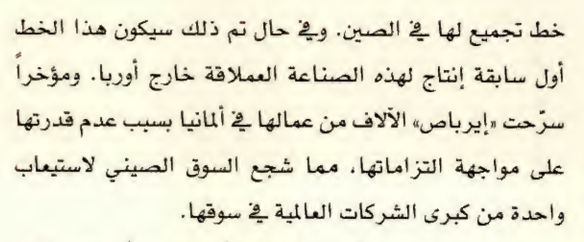
لإحصاءات عام ٢٠٠٢م. كما أصبحت الواردات الصينية عاملاً أساسياً في العجز التجاري المتزايد بين الولايات المتحدة والصين؛ إذ بلغ حجم عجز الميزان التجاري الأمريكي مع الصين حجماً ضخماً وقياسياً لمصلحة الأخيرة حصراً كما سنشير لاحقاً.

يبدو الاتجاه نفسه في أوربا، فالتجارة بين الاتحاد الأوربي والصين ارتفعت بمقدار أربعين ضعفاً عما كانت عليه عام ١٩٧٨م، لتجعل من الصين ثاني أكبر شريك تجاري للاتحاد الأوربي بعد الولايات المتحدة. وتحول الميزان التجاري للاتحاد الأوربي من فائض في بداية الثمانينيات إلى عجز يبلغ ٧٨ بليون يورو عام ٢٠٠٤م. وفي هذا الإطار يقول وزير التجارة الصيني: «إن حجم التجارة الثنائية في الأحد عشر شهراً الأولى من عام ٢٠٠٥م بين الاتحاد الأوربي والصين بلغ ١٩٦,٧٨ بليون دولار أمريكي، بزيادة ٢٣،٦٪ على العام السابق».

وقد أدى ارتفاع الصادرات الصينية للاتحاد الأوربي، خصوصاً من المنسوجات، إلى نشوب الخلافات مع بروكسل (مقر الاتحاد الأوربي) بدعوى تهديد السلع الصينية قطاعات إنتاجية



جهد كبير لإقامة البنية الأساسية





المرأة الصينية تشارك في كل المجالات

أوربية وملايين من الوظائف. لكن الصين لن تبقى مجرد مصدر للملابس، والأحذية، والألعاب الإلكترونية فقط، بل تقيم أيضاً صناعات كثيفة، مثل صناعة السيارات والكيماويات، فضلاً عن استيعابها عدداً من كبرى الشركات العالمية. وتعد شركة «إيرباص» أحد الأمثلة على ذلك، فبعد توقيعها اتفاقاً مع بكين في ديسمبر عام ٢٠٠٥م لبيع ١٥٠ طائرة نقل ركاب «إيرباص» للصين، في صفقة حجمها ٩ بلايين يورو، تسعى «إيرباص» لبناء خط تجميع لها في الصين. وفي حال تم ذلك سيكون هذا الخط أول سابقة إنتاج لهذه الصناعة العملاقة خارج أوربا. ومؤخراً سرّحت «إيرباص» الآلاف من عمالها في ألمانيا بسبب عدم قدرتها على مواجهة التزاماتها، مما شجع السوق الصيني لاستيعاب واحدة من كبرى الشركات العالمية في سوقها.

والجدير ذكره، في هذا السياق، أن الصين أصبحت ثالث أكبر سوق للسفر في العالم بعد الولايات المتحدة وأوربا، إذ بلغ عدد المسافرين بالطائرات منها وإليها (أي الصين) في عام ٢٠٠٤م ١٤٠ مليون مسافر، والآن تشتري سدس الطائرات الجديدة في العالم. وطبقاً للجمعية الصينية لصناعة السيارات، تجاوزت الصين اليابان في عام ٢٠٠٥م، وأصبحت ثاني أكبر سوق للسيارات في العالم بمجموع مبيعات بلغ ٥,٩٢ ملايين سيارة، وهو ضعف العدد الذي باعته الصين عام ٢٠٠١م، إذ بلغت طاقة تسويق السيارات في الصين ٥,٧ ملايين وحدة، وذلك من خلال الاستثمارات الضخمة لشركات السيارات المتعددة الجنسيات في الصين.

على سبيل المثال: تنتج «فولكس فاجن» في الصين سيارات أكثر مما تنتجه في ألمانيا، كذلك فإن شركة «جنرال موتورز» المهددة بالإفلاس في الولايات المتحدة، التي أغلقت مصانع لها في أمريكا الشمالية وأوربا، أصبحت أكبر شركة إنتاج للسيارات في الصين، وتخطط لمضاعفة إنتاجها في الصين خلال هذا العام من خلال زيادة استثماراتها في الصين بمقدار ٣ بلايين دولار، كما تخطط لتصدير سيارات رخيصة (نحو ٥ آلاف دولار أمريكي للسيارة)

من إنتاج مصانع إلى في الصين إلى الأسواق الناشئة، مثل: الهند، وإندونيسيا، والشرق الأوسط. ولأن قدرة إنتاج مصانعها في الصين تتجاوز قدرة السوق المحلي على الاستهلاك فهي تسعى إلى تصدير سيارات رخيصة الثمن مصنوعة في الصين إلى الأسواق العالمية.

وفي مجال آخر متصل، ذكر تقرير لمنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، صادر في ١٣ ديسمبر عام ٢٠٠٥م، أن الصين أصبحت أكبر مصدر في العالم لمنتجات تكنولوجيا المعلومات، مثل: الهواتف المحمولة، وأجهزة الكمبيوتر الشخصية، وبلغت قيمة صادراتها منها ١٨٠ بليون دولار عام ٢٠٠٤م، وبذلك تخطت الصين مبيعات الولايات المتحدة في المجال نفسه بأكثر من ٣٠ بليون دولار، ويصبح هذا الرقم أكبر بكثير إذا أضيفت إليه مبيعات إنتاج مصانع هونج كونج من سلع تكنولوجيا المعلومات.

ويوضح التقرير أن تجارة الصين في سلع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات كانت أقل من ٣٥ بليون دولار عام ١٩٩٦م، وبلغت ٣٢٩ بليوناً في عام ٢٠٠٤م، بزيادة نحو ٣٨٪ سنوياً منذ عام ١٩٩٦م. فالشركات الأجنبية في الصين تنتج ما يقارب ٩٠٪ من صادرات الصين من سلع تكنولوجيا المعلومات، وهي الشركات التي تنتج أو لها فروع للإنتاج في أماكن أخرى أيضاً.

وفي الواقع، معظم الإنتاج الصناعي الصيني هو خطوط تجميع عملاقة، تستخدم المكونات والأجزاء المصنعة في البلدان الأخرى. كما أدى تخفيض التعريفات الجمركية في الصين في أعقاب دخولها منظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠١م إلى خفض ما تنفقه الشركات المتعددة الجنسيات لإنتاج السلع المجمعة في الصين.

وفي سبيل الاحتفاظ بنمو اقتصادي سريع، تدعم الدولة بقوة صادراتها وصناعاتها التصديرية، مثل السيارات والصلب، من خلال معاملات مالية تفضيلية. ولما كانت الأرض ملكاً للدولة، تقوم الحكومة بطرد الملايين منها (وتوطينهم في أماكن أخرى لاحقاً)؛ تمهيداً لشق الطرق وإقامة مناطق صناعية ضخمة.

تقوم الصين اليوم بالدور ذاته الذي كانت تقوم به بريطانيا في القرن التاسع عشر، وهو القيام بدور مصنع العالم

فالدولة تنفق عشرات البلايين من الدولارات سنوياً لشق الطرق السريعة، وإقامة الموانئ ومحطات الطاقة وشبكات الاتصالات الهاتفية، لخلق البنية الأساسية اللازمة لجذب المستثمرين الأجانب، نتيجةً لذلك نمت الصناعة بشكل انفجاري. على سبيل المثال: كانت منطقة «شينزن» الاقتصادية مجرد قرية للصيد في أوائل الثمانينيات، وفي عام ٢٠٠٦م أصبحت أكبر المراكز الصناعية في العالم، وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين.

وبينما أصبحت الصين ورشة العالم، تقوم الحكومة الصينية بوظيفة الشرطي على المستويات كافة لمصلحة المستثمرين الدوليين، وتنحاز إليهم الحكومة بشكل واضح. ولما كانت الضرائب التي تدفعها الشركات هي المصدر الأساسي لدخل السلطات المحلية، فقد أدى ذلك إلى نشوب منافسة ضارية بين المدن والأقاليم والمقاطعات الصينية على جذب رأس المال الأجنبي.

اليوان أمام الدولار

من الملاحظ أن الصعود المتنامي للصين على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية كافة أصبح محل قلق أمريكا، ففي الجانب الاقتصادي لوحظ القلق الأمريكي من سياسة سعر الصرف في الصين، وزيادة الضغوط الأمريكية على بكين لرفع قيمة عملتها أمام الدولار، وأمام هذه الضغوط أقدمت الصين في شهر يوليو من عام ٢٠٠٥م على رفع قيمة «اليوان» بزيادة طفيفة، ليعادل الدولار ٨,١١ يوان بدلاً من أن يكون سعره ٨,٢٨ يوان، ثم تم تعديل هذا السعر في نوفمبر عام ٢٠٠٦م ليصل إلى نحو ٧,٨ يوان لكل دولار. ومع ذلك يرى الخبراء الاقتصاديون أن الاختلال التجاري الواضح بين واشنطن وبكين لن يصحح ما لم ترفع الصين قيمة عملتها بين ١٥٪ و ٤٥٪. وقد وصل التخوف الأمريكي من السياسة النقدية للصين إلى حد التهديد بفرض رسوم على الواردات الأمريكية من الصين تصل إلى ٢٧,٥٪ على الرغم من تخوف بعض الاقتصاديين من أن يؤدي ذلك إلى ارتفاع الأسعار في الولايات المتحدة. كما أن الكونجرس الأمريكي يتهم بكين بخفض قيمة اليوان بشكل مصطنع للحصول على ميزة تنافسية «غير عادية» للصادرات الصينية. وبناء على ذلك، فهي المسؤولة عن تنامي العجز في الميزان التجاري للولايات المتحدة لمصلحة الصين.

الصين ثالث أكبر سوق للسفر في العالم

ليرتفع من ١٠,٤ مليارات دولار في عام ١٩٩٠م إلى ٨٣,٨ ملياراً في عام ٢٠٠٠م، ثم إلى ٢٢٨ ملياراً عام ٢٠٠٦م.

كما توجه البيروقراطية النقابية في الولايات المتحدة وقطاعات من المستثمرين الأمريكيين انتقادات للعمالة الصينية الرخيصة بوصفها المسؤولة عن فقد ملايين العمال الأمريكيين وظائفهم، وخفض أجورهم، وتردي شروط عملهم، مع أن الصين مؤخراً أصبحت بحاجة للعمالة الأجنبية، مما سيؤدي بدوره إلى رفع الحد الأدنى للأجور في الصين.

والواضح أن الحل المطروح لأزمة الرأسمالية الأمريكية بدأ من مقدمات خاطئة، فنهوض الصين والهند وآسيا لم يكن بسبب العمالة الرخيصة، لكن نتاج أزمة اقتصادية عميقة للرأسمالية العالمية؛ لذلك لن نبالغ إذا قلنا: إننا إزاء عودة لنزعة كانت سائدة حينما كان العالم ثنائي القطب، لكنها عودة متوحشة. ولا شك في أن قناعة الرأسمالية



الأمريكية بأنها انتصرت وتحققت «نهاية التاريخ» قد أصيبت بنكسة كبيرة، ومن هنا سيطر على العالم عدد من الصراعات التجارية التي أوشكت أن تتحول إلى حروب تجارية مفتوحة من أجل الحصول على أكبر قدر من كعكة العولمة الاقتصادية.

المعجزة التي تنقصها الخضرة

لكل تطور في الحياة ثمن يدفع، قليلاً كان أم باهظاً. ولا شك في أن تجربة الصين الاقتصادية الهائلة ليست استثناءً. وعليه، فليس مستبعداً أن تتحول هذه المعجزة المذهلة إلى كابوس بيئي، فنمو الاقتصاد الصيني بمعدل ١٠٪ سنوياً يرافقه تلوث بيئي هائل. وما تفعله الصين اليوم ليس سوى مكافئ آخر لمثال سقوط أحدهم من الطائرة بوهم أنه يطير على حد قول «روب وايستون»، الخبير في شؤون البيئة الصينية، ورئيس شركة أيكوتيك العالمية المتخصصة في إنشاء المباني الخضراء ويمضي وايستون في شرح فكرته هذه بقوله: «فحين يسقط أحدهم من الطائرة يظن خلال الدقائق الخمس الأولى لسقوطه أنه يطير فعلاً، إلى أن يصطدم بالأرض والواقع معاً، فتكون النهاية المأساوية المحتومة، غير أن الذي يقتل ليس هو الارتطام بحد ذاته بالقدر الذي تفعله فجائية التوقف، وهذا ما سيحدث للاقتصاد الصيني».

وفي هذا السياق، يقدّر برنامج الأمم المتحدة للتنمية أن الصين بحلول عام ٢٠٢٠م سوف تستهلك ٣,١ مليارات طن فحم سنوياً، علماً أن الفحم يعدّ من أكثر مصادر الطاقة تلويثاً للبيئة، ويمكن أن تمتد آثاره إلى مناطق خارج حدود الصين، مثل سيبيريا وكوريا. وكما أن ارتفاع إنتاج الصين من غاز ثاني أكسيد الكربون في عام ١٩٥٠م كان نحو ٢٢ مليون طن، ارتفع بعد ذلك ليصل إلى نحو ٥٤٤ مليوناً، واستمر الارتفاع بنسبة ٢٥٪ حتى أصبحت الصين تحتل المرتبة الثالثة من بين أكثر الدول إنتاجاً للغازات المسببة للاحتباس الحراري.

وكانت مشكلة الاحتباس الحراري في رأس قائمة القضايا والموضوعات التي تم مناقشتها في اجتماع الدول الصناعية الثماني الكبرى في ألمانيا عام ٢٠٠٧م (تحديداً في شهر يوليو). ومشكلة الصين أنها لا تستطيع أن تفعل ما يفعله الغرب؛ أي: أن تنتج اليوم، وتأتي لتنظف غداً، والسبب أن حجم معدل إنتاجها السنوي وسرعته ربما يؤجلان هذا الغد إلى أجل جد بعيد ومجهول. وبحسب التقرير المنشور في صحيفة «تشينا ديلي»، فقد اكتمل حصاد ٢٤ مليون فدان خلال أسبوع؛ مما يعني تلوث عشر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة فيها، وهو ما يشكل تهديداً جدياً للأمن الغذائي الصيني. كما أن التحول نحو الخضرة ليس معضلة بقدر ما هو فرصة اقتصادية كبيرة تمكن الصين من أن تكون دولة رائدة في ابتكار تكنولوجيا الحلول البديلة الخضراء زهيدة التكلفة على حد ملاحظة الخبير وايستون.

معظم الإنتاج الصناعي الصيني هو خطوط تجميع عملاقة، تستخدم المكونات والأجزاء المصنعة في البلدان الأخرى

ولنذكر هنا مقولة القطة السوداء والقطة البيضاء الشهيرة المنسوبة إلى دينج زياوبنج في وصفه للاقتصاد الصيني: «سواء كانت القطة سوداء أم بيضاء فإنها قطة، وفي استطاعتها الإمساك بالفأر»، وما هذا الفأر سوى تحقيق النمو الاقتصادي. كما قال روزين معلقاً: «ولكن الأفضل لهذا القط أن يتحول إلى قط أخضر من أن يموت قبل إمساكه بالفأر!».

العرب والتجربة الصينية: الحكمة تأتي دائماً متأخرة!

السؤال الذي يطرح نفسه الآن: أين نحن العرب؟ وهل لنا رؤية إستراتيجية واضحة للاستفادة من التجارب الاقتصادية العالمية المهمة، وفي مقدمتها التجربة الصينية؟ إن لدينا الموارد الوافرة الطبيعية والبشرية، ولدينا الموقع الإستراتيجي، وكانت لدينا حضارة عريقة. لدينا الأموال الضخمة والأسلحة الكثيرة، ولكن اقتصادنا ضعيف، ووضعنا السياسي يتدهور باستمرار، ووضعنا الزمني أصبح موضع تساؤل: هل من مخرج أو وسيلة للاستفادة من التجارب الناجحة في العالم كالتجربة الصينية على سبيل المثال؟

إن أي مقارنة بسيطة بين الاقتصادين الصيني والعربي (بجملته) تظهر لنا أن التجربة في العالم العربي بائسة ومثيرة للإحباط. فعند انطلاق برنامج الإصلاح الاقتصادي عام ١٩٧٨ كان عدد الصينيين الفقراء يبلغ ٢٦٠ مليوناً (نحو ثلث السكان)، انخفض إلى ٣٠ مليوناً (نحو ٣٪) عام ٢٠٠٠م. ولم يتحقق هذا

النجاح من خلال الدعم المباشر للفقراء أو تحويل الحكومة إلى جمعية خيرية، بل من خلال الإدارة العلمية لمشروعات الإنماء وتوزيع الموارد. وهذا ما يتضح من النمو الهائل في إجمالي الناتج المحلي خلال المدة نفسها من ٤٤ بليون دولار إلى ١,٤٢٥ بليوناً، فضلاً عن تضاعف تجارة الصين الخارجية ٢٢ مرة، وهذا الأمر حولها إلى ما يمكن وصفه بمصنع العالم.

في المقابل، ما زال العالم العربي غارقاً في الأزمات الاقتصادية نفسها التي عرفها قبل ثلاثة عقود. فما زالت جميع الدول تقريباً تعاني البطالة، وضعف الأداء الاقتصادي، وتخلف التكنولوجيا، وانخفاض مستوى المعيشة. وقد يظن كثيرون أن دول الخليج النفطية قد تجاوزت هذه المرحلة، ولم تعد تعرف ذلك النوع من المشكلات. لكن الحقيقة غير ذلك، فحتى أعلى الدول من حيث الدخل الفردي؛ أي: الإمارات العربية المتحدة، تعاني هذه المشكلات، وإن بدرجة أقل مما هو عليه الحال في الدول الكبرى؛ مثل المملكة العربية السعودية، أو في دول نفطية أخرى، مثل العراق والجزائر وليبيا.

على أن العرب، على رغم واقعهم المحبط هذا، أخذوا ولو متأخرين يمعنون النظر في تجربة الصين الاقتصادية، والتفتوا أخيراً إلى ضرورة البدء بالاستفادة من هذه التجربة ضمن إطار مؤسسي واضح ينخرط فيه الجانبان، وهكذا فقد تم تأسيس المنتدى العربي الصيني في يناير عام ٢٠٠٤م ليشتمل على عدة آليات للتعاون العربي (الجماعي) مع الصين في عدة جوانب، أهمها الجانب الاقتصادي. وفي هذا الإطار، تم الاتفاق على أن يفيد الصينيون من مزايا المناطق الحرة في المنطقة العربية، في مقابل السماح للعرب بتنمية الأقاليم الصينية الغربية التي تقيم بها أغلبية مسلمة. كما جرى التوافق أيضاً على تحسين الميزان التجاري بين الدول العربية والصين، وتشجيع التعاون بين الشركات الصغيرة والمتوسطة في الجانبين، وكذلك حفز العمل المصرفي المتبادل، وإنشاء خطوط ملاحية وجوية منتظمة ومباشرة بين المدن والموانئ العربية والصينية.

وإذا افترضنا أن ثمة رغبة حقيقية من الجانب العربي للاستفادة من تجربة الصين الاقتصادية الزاخرة بالإنجازات

الحواسيب الشخصية من أهم المنتجات الصينية المنافسة





كما سبق بيانه، فإن تفعيلها يقتضي أن يبذل العرب - من خلال المنتدى وغيره - جهوداً صادقة إذا هم أرادوا حقاً أن تكون الصين شريكاً اقتصادياً مهماً «ومشروع» شريك سياسي يكون على استعداد في المستقبل للقيام بدور أكبر في قضايا العالم العربي. فعلى المستوى الاقتصادي، تمثل الصين شريكاً تجارياً رئيساً لبعض الدول، كالسودان واليمن (وإن عانتا معاً من اختلال في ميزانيهما التجاريين لمصلحة الصين)، كما أن من الدول العربية ما يتجاوز حجم تجارته مع الدولة الصينية المليار دولار ويحقق فائضاً تجارياً منها، كالسعودية والإمارات وسلطنة عمان.

غير أن الأمر الضروري في النهاية هو أن تطرح الدول العربية على نفسها اليوم أسئلة مهمة قبل الحديث عن علاقات عربية صينية إستراتيجية. ومن قبيل هذه الأسئلة: هل نحن بالفعل بحاجة إلى الصين؟ وفي أي الجوانب تظهر هذه الحاجة؟ وكيف يمكن - إذا كان الرد بالإيجاب - أن نطور مستوى التفاعلات القائمة بالفعل؟ وهل نحن على استعداد للمثابرة على بذل الجهود المطلوبة؟ إن الإجابة الأمينة عن هذه الأسئلة هي وحدها القادرة على توجيهنا الوجهة الصحيحة، فليس كافياً أن تنشأ المنتديات، وأن توقع الاتفاقيات من دون أن تتوافر النوايا والأعمال الصادقة لجعلها منتجة ومحققة لأهدافها. ومن دون هذا، فإننا في الواقع نبني سياسات لا تقوم على أساس، ونتورط في توقعات لا تنهض إلا على الأوهام.



المراجع

- د. مغاوري شلبي علي، الصين والاقتصاد العالمي: مقومات القوة وعوائق الاندماج، السياسة الدولية، العدد ١٦٧، القاهرة، يناير عام ٢٠٠٧م.
- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين (القاهرة، مركز الأهرام، عام ١٩٩٣م).
- د. هدى ميتكس، الصعود الصيني: التجليات والمحاذير، السياسة الدولية، العدد ١٦٧، القاهرة، يناير عام ٢٠٠٧م.
- د دانييل بورشتاين وأرنيه دي كيزا، التنين الأكبر: الصين في القرن الواحد والعشرين، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، ٢٧١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يوليو عام ٢٠٠١م).
- توفيق السيف، فرصة العرب للخروج من عصر التقاليد، نيوزويك العربية، ١٢ يونيو عام ٢٠٠٧م.
- حنان قنديل، الصين والعرب: الواقع والمشكلات والفرص، شؤون عربية، العدد ١٢٩، القاهرة، ربيع ٢٠٠٧م.
- محمد نعمان جلال، التجارب التنموية الآسيوية: الدروس المستفادة، السياسة الدولية، العدد ١٦٠، القاهرة، أبريل ٢٠٠٥م.
- مارتن هارت - لاندزبرج وبول باركت، الصين والاشتراكية: إصلاح السوق والصراع الطبقي، ترجمة مازن الحسيني، رام الله: دار التنوير للترجمة والنشر والتوزيع، عام ٢٠٠٥م.
- فاينانشيال تاميز، ٢٢ نوفمبر عام ٢٠٠٦م.
- مجلة الثقافة العالمية، العدد ١٢٨، الكويت، يناير- فبراير عام ٢٠٠٥م، عدد خاص عن الصين.



تأجيل الأيام الثقافية السعودية باليمن تضامناً مع غزة

قررت وزارة الثقافة والإعلام تأجيل فعاليات الأيام الثقافية السعودية، التي كان من المقرر انطلاقها يوم ٥ من المحرم سنة ١٤٣٠هـ (٢يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٩م) في صنعاء، إلى جانب عدد من المدن اليمنية الأخرى.

وأوضح الدكتور أبوبكر باقادر - وكيل وزارة الثقافة والإعلام للعلاقات الخارجية - أن الأيام السعودية الثقافية في اليمن الشقيق لم تُلْغَ، وإنما تم تأجيلها تضامناً مع ما يحدث لأشقائنا من أبناء الشعب الفلسطيني.

وذكر د. باقادر أن الأيام الثقافية لا تقف عند تعميق العلاقات الدولية بين البلدين فحسب، وإنما تقدم هذه العلاقات الثقافية في أشكال متناغمة من الاحتفاء بالثقافة بمفهومها الشاسع، وأشكالها المختلفة؛ مما يجعل هذه الأيام غنية بالتنوع الاحتفائي فيما تقدمه من فعاليات، وأضاف أن ما حدث لإخواننا في غزة فرض من الشعور وتضامن المشاعر والمواقف ما يقتضي تأجيل الاحتفال بهذه الأيام؛ لأن أمتنا الإسلامية والعربية كالجسد الواحد.



تشكيل المجلس الجديد لهيئة الصحفيين السعوديين

عقد مجلس إدارة هيئة الصحفيين السعوديين الجديد اجتماعه الأول في مقر الهيئة الجديد بحي الصحافة بعد فوزه في الانتخابات التي جرت في ٢٢ ديسمبر/ كانون الأول الماضي، وتم الاتفاق على اختيار الأستاذ تركي السديري رئيساً لمجلس إدارة الهيئة، والأستاذ خالد المالك نائباً للرئيس، ود. عبدالله الجحلان أميناً عاماً، والأستاذ محمد الوعيل أميناً للسر، والأستاذ عبدالوهاب الفايز أميناً للمال. ويضم المجلس في عضويته د. خالد الفرم، والأساتذة: عبدالعزيز العيد، وخالد دراج، وناصر الشهري، ونورة الحويتي، وجمال خاشقجي، وجميل الذيابي. وأقر المجلس في اجتماع تالٍ إستراتيجية عمل المجلس في الدورة الجديدة.

وكانت الجمعية العمومية لهيئة الصحفيين السعوديين قد أقرت زيادة عدد أعضاء مجلس الإدارة إلى ١٢ عضواً، كما أقرت تخفيض عضوية الانتساب إلى الهيئة إلى ٢٥٠ ريالاً للمتفرغ، و١٥٠ ريالاً للمتعاون.

كشف أثري عماني يعود إلى العصر الحديدي



استطاعت بعثة إيطالية للتنقيب عن الآثار في سلطنة عمان اكتشاف آثار في موقع «سلوت» الأثري بولاية بهلاء بالمنطقة الداخلية، وموقع «خور روري سمهرم» بمحافظة ظفار جنوب سلطنة عمان.

وأشارت البروفيسور أليساندرا أفانزيني - رئيسة البعثة الإيطالية - إلى أن الأهمية التاريخية لموقع «سلوت» تنبع من كونها ترتبط مباشرة ببدايات التاريخ العماني، الذي بدأ بوصول القبائل العربية إلى عمان من مختلف مناطق الجزيرة العربية.

وتقع «سلوت» على سطح هضبة صخرية وسط الواحة القديمة التي تشغل مساحة كبيرة من الجزء الغربي للوادي، ويقطعها كل من وادي بهلاء ووادي سيفم. وتعود الاكتشافات الأثرية إلى العصر الحديدي، الواقع في الحقبة من ١٤٠٠ إلى ٦٠٠ عام قبل الميلاد.

تعديلات في النظام الأساسي لاتحاد الكتاب العرب

أجرى المؤتمر الاستثنائي للاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العرب، الذي عقد في العاصمة الأردنية عمان في المدة من ١٥ إلى ١٨



ديسمبر/ كانون الأول الماضي، تعديلات على النظام الأساسي واللائحة الداخلية، فتقرر أن تكون مدة ولاية الأمين العام ثلاث سنوات تجدد مرة واحدة فقط؛ لإتاحة الفرصة لتداول السلطة بين أعضاء الاتحاد العام من ناحية، ولإعطاء المثل في عدم احتكار السلطة. كما تقرر عدم تحديد عدد المكاتب النوعية التابعة للأمانة العامة؛ لتتواءم مع طبيعة العمل، ولاستيعاب التغيرات التي تنشأ من آن إلى آخر، ولضمان توزيع الأعباء تأكيداً لجماعية الإدارة.

وأكد المؤتمر أن قضية فلسطين هي القضية المحورية في الوطن العربي، وشدد على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة، والعودة إلى وطنه، وأدان الحصار الإسرائيلي لغزة، ومحاولات تهويد القدس، وهدم المسجد الأقصى. وتطرق المؤتمر إلى احتلال القوات الأمريكية للعراق، ومحاولة الولايات المتحدة تأجيج نار الفتنة في السودان، وسياسة العدو الصهيوني تجاه لبنان واستمرار احتلاله أراضيه.

وطالب المؤتمر بمعاملة الصحفي العراقي منتظر الزيدي، الذي قذف حذاءه على الرئيس الأمريكي جورج بوش، وفقاً للقوانين الدولية ومبادئ حقوق الإنسان.

أخبار

القدس عاصمة الثقافة العربية

تسلمت القدس راية الثقافة العربية من دمشق، إذ ستكون عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، ويأتي ذلك في ظروف بالغة الدقة بعد اجتياح إسرائيل لقطاع غزة، وسقوط المئات من الضحايا.

وقرر وزراء الثقافة العرب قيادة حملة للتعريف بالحقوق العربية في القدس الشريف، وأوصى المشاركون العرب في ختام المؤتمر العام التاسع عشر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الإلكسو» في تونس بإسقاط موقع القدس من القائمة المبدئية الإسرائيلية المقدمة للجنة التراث العالمي في منظمة اليونسكو.

ودعا المشاركون في البيان الختامي للمنظمة التابعة للجامعة العربية، وتتخذ من تونس مقراً لها، الدول الأعضاء في لجنة التراث العالمي، التي تترأسها إسبانيا، إلى رفض إدراج القدس في القائمة التمهيدية الإسرائيلية؛ تنفيذاً لقرار مؤتمر القمة العربية المنعقدة في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٧م.

وتعود فكرة العواصم الثقافية إلى المؤتمر الذي عقد في المكسيك تحت مظلة الأمم المتحدة عام ١٩٨٢م حول السياسات الثقافية، وانطلاق فكرة رئيسة تستند إلى أن الثقافة عنصر أساسي في حياة كل فرد وكل مجتمع، وأن التنمية لها بعد ثقافي جوهري؛ لأنها تهدف إلى خير الإنسان.

وأقر وزراء الثقافة العرب فيما بعد العواصم الثقافية العربية الآتية: مدينة القاهرة عام ١٩٩٦م، وتونس عام ١٩٩٧م، والشارقة عام ١٩٩٨م، وبيروت عام ١٩٩٩م، والرياض عام ٢٠٠٠م، والكويت عام ٢٠٠١م، وعمان عام ٢٠٠٢م، والرباط عام ٢٠٠٣م، وصنعاء عام ٢٠٠٤م، والخرطوم عام ٢٠٠٥م، ومسقط عام ٢٠٠٦م، والجزائر عام ٢٠٠٧م، ودمشق عام ٢٠٠٨م، والقدس عام ٢٠٠٩م، وستكون الدوحة عاصمة الثقافة العربية في عام ٢٠١٠م .



إحباط عمليات تهريب قطع أثرية في اليمن

نجحت أجهزة الأمن والجمارك اليمنية في إحباط عمليات تهريب ٤٤٧ قطعة أثرية من البلاد عبر مطار صنعاء الدولي خلال العام الماضي. ويزيد عدد القطع المتنوعة التي أحبط تهريبها هذا العام بمقدار ١١٧ قطعة عن العام السابق؛ مما يشير إلى ازدياد أعمال السطو على المواقع الأثرية من عام إلى آخر، واستمرار محاولة نهب حضارة عمرها آلاف السنين. وشارك في محاولات التهريب يمنيون وعرب وأجانب، وذلك في نحو ٥٠ عملية. وتضمنت المضبوطات تماثيل، وأختاماً، وعملات فضية، ومخطوطات، ولوحات حجرية، بالإضافة إلى عدد من قطع الموروث الشعبي القديم. وتعود جميع المضبوطات إلى حقب زمنية إسلامية، وما قبل الإسلام.

الدورة التاسعة عشرة لمعرض الدوحة للكتاب

أقيم في المدة من ٢٤ ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٨م إلى ٣ يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٩م المعرض الدولي التاسع عشر للكتاب في الدوحة بمشاركة عربية وعالمية واسعة، فبلغ عدد دور النشر المشاركة ٤٤٠ دار نشر من ٢١ دولة عربية وأجنبية، وتم عرض ٢٣٠٠٥ عناوين باللغة العربية، و٥١٥٩ عنواناً باللغات الأخرى.

وأطلقت الحكومة القطرية مشروعاً للقراءة أطلق عليه: «مشروع أمة تقرأ أمة ترقى»، بهدف تشجيع الطلاب وحفزهم إلى القراءة والاطلاع، وتعليمهم اختيار المعلومات المختلفة، والمشاركة في معرض الكتاب، واختيار الكتاب المناسب لاهتماماتهم الثقافية والعلمية.

وفي هذا الإطار وزعت على طلاب المدارس قسائم (كوبونات) مجانية لشراء كتب من المعرض. وقد اختارت اللجنة المنظمة الولايات المتحدة ضيف شرف لمعرض هذا العام، بوصفها أكبر سوق للنشر في العالم. وعقدت على هامش المعرض ندوات بحثت في التفاعل بين الثقافتين الأمريكية والعربية، والعولمة الثقافية الأمريكية، وأعلام الأدب والثقافة الأمريكية.

وفاة الكاتب المسرحي البريطاني هارولد بنتر

توفي الكاتب المسرحي البريطاني الحائز على جائزة نوبل هارولد بنتر عن عمر ناهز الـ٧٨ عاماً بعد معاناة مع المرض. وكان بنتر قد نال جائزة نوبل في الآداب عام ٢٠٠٥ م عن أعماله المسرحية، من بينها مسرحيتا «حفل عيد الميلاد» و«العودة إلى الوطن». اللتان تعدان في نظر كثير من النقاد من بين أجمل إنتاج أدبي في النصف الأخير من القرن الميلادي الماضي.

واشتهر بنتر بانتقاداته اللاذعة للسياسات الأميريكية والبريطانية، إذ سبق أن وصف الغزو الأمريكي للعراق بأنه عمل «لصوصي، ويكشف عن احتقار للقانون الدولي»، وشبه الولايات المتحدة بألمانيا النازية، ووصف قادتها بعصبة من المجرمين المجانين.



رواية يمنية تتحدث عن عالم المهمشين

أصدرت دار الساقي اللبنانية رواية يمنية بعنوان «طعم أسود.. رائحة سوداء» للأديب اليمني علي المقري، وهي أول رواية له، وتتناول حياة المهمشين، الذين يطلق عليهم في اليمن «الأخدام»، والعلاقات الاجتماعية التي تربط بينهم، وما يمارسه بعضهم من تمرد على أوضاعهم. وقد سبق ترشيح الرواية لجائزة البوكر العربية.



الاقتصاد السياسي للذهب

الآن وغداً

محمد سيف حيدر

صنعاء - اليمن

في غمرة المخاوف الكثيرة من حدوث انخفاض في النمو الاقتصادي العالمي، تتوجه الأنظار - ككل مرة، وبكل إجلال - إلى الذهب؛ فالمعدن الأصفر، الذي ارتفعت أسعاره خلال عام ٢٠٠٧م بنسبة قياسية غير مسبوقة بلغت ٣٢ ٪، لا يملّ ولا يُملّ. ولهذا دائماً يحلو للجميع، وفي كل الظروف والأزمات السياسية والاقتصادية التي تجتاح كوكبنا المضطرب، الاستظلال تحت أفيائه الفارهة الباعثة على الاطمئنان، وتالياً استعادة دور هذا المعدن النفيس كـ «قيمة مرجعية» في كل مرة تئنّ فيها الاقتصاديات والأسواق العالمية - ولا سيما الكبرى منها - تحت وطأة المخاوف من الركود واستمرار التوترات الجيوسياسية في مناطق مختلفة من العالم.

والذهب، كما يعلم الجميع، أبو المعادن وسيّدها، وعلى الرغم من مكانته الراسخة التي لا تضاهى، لكنه يبقى من أكثر السلع في التاريخ حساسية؛ إذ إن تقلبات السياسة والاقتصاد والنفط والسيول والعواصف والعوامل الطبيعية والعلاقات الدولية كلها عوامل تؤثّر في سعره، صعوداً وهبوطاً.

الكل يوافق على أن الذهب معدن جميل، وهو يتصف بصفرة براقة قد يكون لها مسحات متباينة تبعاً لكمية المخاليط وطابعها (عادة الفضة والنحاس والنيكل وبعض المعادن الأخرى الأقل ثمناً). وكلمة «ذهب» بحد ذاتها، كما يُخبرنا الاقتصادي الروسي أ. أنيكين، آتية في اللغات الهندوأوربية من مفهوم «اللون الأصفر». وعلى وجه التحديد هذا يخص اللغات السلافية والجرمانية، بما في ذلك اللغة الإنجليزية (فمثلاً هذه القرابة شديدة في اللغة الألمانية: جولد Gold أي: ذهب، وجيلب Gelb أي: أصفر).

ويتمتع الذهب بخواص فيزيائية وكيماوية نادرة؛ فهو لا يصدأ كالحديد، ولا يتغطى بأوكسيد أخضر مائل إلى الزرقة كالنحاس، حتى لونه لا يعتم كالفضة. والخواص الطبيعية التي يتمتع بها الذهب جعلت استعماله معقولاً في بعض ميادين الصناعة. وفي الأغلب، حصل المعدن الأصفر على «اختصاصه» هذا خلال العقود الأخيرة؛ إذ صار يستخدم في الإلكترونيات والتكنولوجيا الفضائية ووسائل الاتصال الحديثة. والذهب، بعكس الأحجار الكريمة، قابل للتجزئة، ومن دون نقص يُذكر في قيمته، وهذه ميزة من ميزاته إذا ما قوبل بالماس مثلاً. وعلاوة على ذلك، يتمتع الذهب بخاصية فريدة، فهو لا يبلى. فإذا كان النفط يتلاشى في سياق الاستهلاك، والحديد والفولاذ

عطش كبير إلى الذهب منذ القدم

لا يعاد صهرهما إلا جزئياً بشكل نوافل، في حين يستخدم كل من النحاس والفضة بصورة مكررة وباستمرار، لكن الذهب وحده يظل هو «الخالد»، فحالما يستخرج ذات مرة لا يختفي، ولا يضيع في الأرض أو الماء أو الهواء بحكم خواصه الطبيعية والاجتماعية، ومهما بدّل من مكانه، ومهما تحوّلت أشكاله، وتغيرّ مالكوه، يظل يتابع القيام بوظائفه التي تتعدّد بتعدّد الأنشطة الإنسانية.

غير أن أهمية الذهب، سواء في تاريخ العالم أم في الاقتصاد الحديث، لم تتحدد من خلال استخدامه في الصناعة أو الصياغة فحسب، كما أنها لا ترتبط فقط بخواصه الطبيعية المفيدة بقدر ما ارتبطت بوظيفته الاجتماعية؛ أي: كونه تجسيداً للقيمة. أو بعبارة أخرى: بوصفه نقوداً.

العطش اللعين

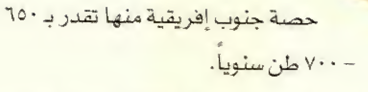
إن تاريخ الذهب يقاس بآلاف السنين، فالذهب منذ الأزل كان بمنزلة النقود والسلطة الاقتصادية المركّزة، وموضع طمع وجشع. ومنذ ذلك الحين عبّر الشاعر الروماني فرجيل عن ذلك بالصيغة الآتية: Auri Sacra Fames؛ أي «العطش اللعين إلى الذهب». وتشير المصادر التاريخية إلى أن الإنسان عرف الذهب، كمعدن وخام طبيعي، قبل زهاء ستة آلاف سنة، وأنه اكتسب بعض ميزات النقود

في أكثر أنحاء العالم القديم تقدماً وازدهاراً منذ نحو ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ سنة، وقد مرت نحو ٢٦٠٠ سنة منذ ظهور النقود الذهبية الأولى.

لكن التاريخ الاقتصادي الحقيقي للذهب، إن جاز القول، بدأ مع الاكتشافات الجغرافية الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، التي يعود تاريخها إلى فاسكو دي غاما وكريستوفر كولومبس، التي أدت إلى اتساع نطاق التجارة، وتدفّق المعادن النفيسة إلى أوربا. وتحوّل اقتصاد العصور الوسطى من اقتصاد ضيّق التبادل إلى اقتصاد قائم على استخدام النقود المعدنية، وهذا كان عصر المركنتالية. وتتلخّص الفكرة الأساسية التي قام عليها المركنتالي (التجاري) في أن المعادن النفيسة، خصوصاً الذهب، هي أساس للثروة الحقيقية، ومن ثّم يكون المظهر الحقيقي لغنى الدولة هو مراكمة هذا المعدن لديها.

مرحلة جديدة

كان اكتشاف الذهب في كاليفورنيا وأستراليا عاملاً مهماً في النموّ الاقتصادي، وفي تشكّل الأسواق العالمية. ومما لا شك فيه أن تدفّق الذهب إلى أوربا بكميات كبيرة كان أساساً لإدخال قاعدة الذهب. ومع اكتشاف الذهب في جمهورية جنوب إفريقية في نهاية القرن التاسع عشر، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ المعدن الأصفر مع إنتاج جنوب إفريقية ثلثي الإنتاج العالمي منه، إذ تراوح كمية الإنتاج العالمي للذهب في ثمانينيات القرن الماضي بين ٩٥٠ و ١٠٠٠ طن سنوياً، كانت



حصة جنوب إفريقية منها تقدر بـ ٦٥٠ - ٧٠٠ طن سنوياً.

ولم يكن للذهب المستخرج المصير نفسه، فحتى الحرب العالمية الأولى استخدم قسم منه في سكّ النقود، وما يعادل هذه الكمية استخدم كغطاء للإصدار النقدي. وفي كلتا الحالتين كان الذهب يتخذ شكل النقود، فينتقل من الاحتياط إلى التداول، وبالعكس، عن طريق صهر المعدن وسكه، وكان هذا عصر القاعدة الذهبية.

لكن عصر قاعدة الذهب لم يدُم طويلاً، فمع تزايد الإنتاج المحلي والعالمي من جميع السلع والخدمات أصبح من الصعوبة التقيّد بالذهب كغطاء كامل للعملات الورقية، وتحديد قيمة العملات المحلية بمقدار ما لدى الدول من احتياطي الذهب، فلا يمكنها طبع المزيد من العملات المحلية إلا بعد زيادة ذلك الاحتياطي زيادة متناسبة، ومن ثمّ خفض هذا القيد تدريجياً إلى أن ألغي تماماً عام ١٩٧١م.

والمعروف أنه في ظل قاعدة الذهب كانت الاحتياطات الرسمية تنمو بشكل منتظم لمقابلة الطلب النقدي على الذهب، وبعد التخلي عن قاعدة الذهب، ونزع الصفة النقدية عنه، بدأت مرحلة جديدة من تاريخه، فلم يعد الذهب يمثّل أساساً للنظم النقدية، كما أنه توقّف عن أن يكون أداة لتسوية المعاملات الدولية. وبزوال قاعدة الذهب التي كانت تحدد قيمة العملات المحلية أصبح كثير من الدول، ولا سيما الدول النامية، تطبع المزيد من عملاتها من دون إنتاج إضافي؛ مما زاد معدلات التضخم فيها، وقلل من قيمة عملاتها الورقية في مقابل العملات العالمية كالدولار الأمريكي، والجنية الإسترليني البريطاني، والمارك الألماني، والفرنك الفرنسي، والين الياباني، وفيما بعد العملة الأوربية الموحدة (اليورو). ومع هذا، فمن المهم ملاحظة أنه على الرغم من تغير الوظيفة الاقتصادية التي كان يقوم بها الذهب فإن أغلبية الحكومات والبنوك المركزية ما زالت «تجلس على صناديقها»، ولا تبدو راغبة في التخلي عن احتياطيها المكدس من المعدن الأصفر الثمين.

واستطراداً، ينبغي الإشارة إلى أن مجموعة قليلة من الدول الصناعية الغنية تمتلك اليوم - بداهةً - القدرة على تحديد السياسات تجاه الذهب؛ لأن الكميات الأساسية منه مكدسة لديها، إذ تشكل حصة هذه الدول أكثر من ثلثي الاحتياطيات الدولية من الذهب. وإذا كانت الحركة البطيئة للاحتياطات الدولية في الوقت الحالي تظهر

الصراع على امتلاك الذهب كأنه قد توقف نهائياً، فإن إعادة توزيع ثروات الذهب مازالت تتم بشكل غير مرئي، ويشكّل احتياطي الذهب من إجمالي الاحتياطيات الدولية أكثر من ١٠ ٪، بينما هناك سبع دول تمتلك أكثر من ثلثي احتياطي الذهب الرسمي القابع في أقبية البنوك المركزية، فبالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي تستحوذ على أكبر احتياطي عالمي من الذهب، تمتلك كل من روسيا وألمانيا وفرنسا وسويسرا وإيطاليا وهولندا كميات كبيرة من هذا المعدن.

عوامل تحكم كثيرة

على أن هذا لا يعني أن سعر الذهب اليوم يخضع لإرادة هذه الدول أو سياساتها الاقتصادية حصراً، إذ تتحكم في سوقه عوامل كثيرة، وغالباً ما تكون متضاربة. والحال أن التقلب الملحوظ في سعر الذهب هو أحد العوامل التي تعيق - إلى حد ما - عودته إلى أداء وظائفه التقليدية، وقد أدى انقسام السوق العالمي للذهب منذ نهاية ستينيات القرن العشرين إلى قطاعين: خاص وبين البنوك المركزية، إلى تسرّب قسم كبير من الذهب من تحت الرقابة الحكومية، فانخفض، تبعاً لذلك، تأثير الحكومات في تجارة الذهب الدولية، وأخذ السعر السوقي للذهب في الانحراف عن سعره الرسمي، وحتى السعر الرسمي بدوره ارتفع من ٣٥ دولاراً للأوقية إلى ٣٨ دولاراً في عام ١٩٧١م. وبعدها لم يعد السعر الرسمي يحمل أهمية تذكر بالنسبة إلى عملية استخراج الذهب، فالتأثير الأساسي بات لسعر السوق، الذي انفلت من عقاله منذ عام ١٩٧٢م ليصل مؤخراً، وفي أيامنا هذه، إلى سعر قياسي أخذ يقترب من ١٠٠٠ دولار للأوقية.

الذهب يعود إلى الواجهة في الأوضاع الاقتصادية العالمية الجديدة



العودة إلى الواجهة

وهكذا عاد الذهب إلى الواجهة من جديد بالتزامن مع حالة العصبية السائدة بشأن الاقتصاد العالمي. ومن عوامل الإغراء التي يتسم بها الذهب وضعه التقليدي كملاذ آمن، إذ ينظر إليه بوصفه مستودعاً للقيمة حين يتسم كل شيء بالخطورة. بالإضافة إلى كونه وسيلة لامتصاص التضخم المالي الذي يقلل قيمة المدخرات السائلة، شأنه في ذلك شأن الأرصدة الثابتة الأخرى: كالأراضي مثلاً. لذلك يلجأ المدخرون إلى تحويل أموالهم السائلة إلى ذهب أو أراضٍ؛ لأن قيمتهما لا تتأثر بالتضخم المالي كما تتأثر المدخرات السائلة. ولهذا السبب أيضاً تشتري البنوك قدراً من الذهب كجزء لا يتجزأ من استثماراتها. وفي هذه الحالة (درء آثار التضخم المالي) وغيرها، يعد الذهب استثماراً مجزياً. وعلى الرغم من أنه استثمار قليل المخاطرة فهو يحقق أرباحاً طائلة للذين يتاجرون به، علماً أن هنالك علاقة طردية بين المخاطرة والاستثمار، فكلما ازدادت درجة المخاطرة في الاستثمار ازدادت الأرباح في حالة نجاحه، وازدادت الخسائر في حالة عدم نجاحه، ما عدا الاستثمار في الذهب، فقلّما نسمع بتاجر ذهب أغلق متجره، أو أفلس، أو انكمش نشاطه كما نسمع عن كثير من الأنشطة الاقتصادية والتجارية الأخرى.





العادات والتقاليد تنتصر دائماً للذهب

الذهب والدولار

يعود الدافع الأساسي لارتفاع سعر الذهب عالمياً، في الوقت الراهن، إلى انخفاض قيمة الدولار الأمريكي، واحتمال أن يكون سعر الفائدة الحقيقية في الولايات المتحدة سالباً. وقد عززت طبيعة العلاقة بين الدولار ورد فعل البنوك المركزية في العالم على أزمة الائتمان العقاري في الولايات المتحدة من مكانة الذهب بوصفه رهاناً جذاباً؛ ذلك أن رد الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي المغامر، كما تصفه صحيفة «فاينينشيال تايمز» البريطانية، وخفضه أسعار الفائدة لمواجهة أزمة الشح الائتماني، أوجدا خطر حدوث ارتفاع حاد في معدل التضخم في أمريكا. وهذا بدوره يؤدي إلى خطر حدوث هبوط شديد في قيمة الدولار، ومن ثم يجعل الذهب أكثر جاذبية بوصفه وسيلة للتحوّط.

لقد شهدت الاقتصادات الكبرى في العالم نمواً سريعاً في الإمدادات المالية بلغت نسبته ١٠٪ سنوياً في السنوات الأخيرة. وما زال الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي أكبر مالك للذهب في العالم، ومع ذلك لا تنمو إمدادات هذا المعدن إلا بنسبة ١,٥٪ سنوياً. وإذا كان الذهب عملة محدودة فينبغي أن ترتفع قيمته، ليس مقابل الدولار وحده، بل مقابل الجنيه الإسترليني واليورو كذلك.

زيادة على ذلك، فإن انخفاضاً حاداً في أسعار الفائدة الحقيقية في الولايات المتحدة يعني أن انخفاض المردود على الذهب قد لا يهم كثيراً، ربما كان الذهب وسيلة سيئة للتحوّط ضد التضخم في الماضي، لكن الركود الاقتصادي، وزيادة الأسعار الاستهلاكية المتزامنة مع الارتفاع الكبير في أسعار النفط عالمياً؛ كلها عوامل تجعل منه، في هذه الأيام، وفي المدى المنظور، مستودعاً أفضل للقيمة.

وقصارى القول أن التجربة العملية تبيّن، بشكل واضح، أن الذهب لا يزال له وزنه في الميزان الاقتصادي والسياسي العالمي، فما زال الذهب يستخرج بكميّات أكبر من ذي قبل، وما زال الذهب

الذهب معدن جميل، وهو يتصف بصفرة براقة قد يكون لها مسحات متباينة تبعاً لكمية المخاليط وطابعها

يباع ويشترى ويستخدم. آلاف الأطنان من الذهب ما زالت مجمّعة على شكل ملكيات رسمية، وفي القطاع الخاص لا يحاولون أيضاً إفلاته. لكن الأوضاع التي يمر بها الاقتصاد العالمي، كما السياسة العالمية، تُنبئ عن أوضاع وترتيبات جديدة، للذهب فيها موقع مميز. وهذا يدفع - بالتأكيد - إلى التساؤل عن طبيعة الوضع الاقتصادي الجديد للذهب.

بيد أن إعطاء جواب مقنع كامل ومفصّل عن هذا التساؤل يبدو صعباً جداً، ومن الضروري الاستمرار في المراقبة، والتعمّق في البحث؛ لأن التغيّرات الجذرية والتحوّل من حالة نوعية إلى حالة نوعية أخرى يتمّان حرفياً أمام أعيننا، ولم يبلغا نهاياتهما بعد.

والحال أن فقدان الذهب الفواصة النقدية لا يعني أنه، بكل بساطة، تحوّل كلياً إلى عالم السلع؛ فالذهب لا يزال يحتفظ، وسيحتفظ مدة طويلة، بصيت «سلعة من نوع خاص»، وما يجعله كذلك صناعته الاستخراجية، وتسويقه عبر آلية السوق، واستخدامه كمادة تجارية في البورصات، بالإضافة إلى ما يتمتّع به من صفات تقنية.

ولا يزال الذهب في سلوك الناس وعاداتهم ووعيهم يحيطونه بميّزات خاصة من الصعب التخلّي عنها بسهولة. حتى بعد أن توقّف المعدن عن أن يكون نقوداً، يبدو أن العادات والتقاليد والخصال، ووجهات النظر، وقوّة الاستمرار النفسية والاجتماعية، التي في مكان وزمن ما، اقتربت من الوعي الباطني الغريزي؛ جميع هذه الأمور إن أخذت بمجملها فهي تشكّل «صنمية» معدنية فريدة من نوعها. ولا شك في أن المأخوذين بسحر المعدن الأصفر باتوا لا يستطيعون منه فكاكاً، وسيظلون - والحالة هذه - يدورون في فلكه الفاتن البرّاق الباعث على الطمأنينة والبهجة حتى رمق الوجود الأخير!.

المراجع

- أ. أنيكين، الشيطان الأصفر: الذهب والرأسمالية، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٢م.
- بسام الحجار، اقتصاديات الذهب، مجلة الدفاع الوطني اللبنانية، عدد كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦م.
- بيتر ل. برنشتاين، سطوة الذهب: قصة استبداده بالقلوب والعقول، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢م.
- حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، عالم المعرفة، ٢٥٧، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أيار/ مايو ٢٠٠٠م.
- الذهب: العملة العالمية الجديدة، فاينينشيال تايمز، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٨م.
- سمير عبده، اقتصاديات الذهب: دراسة عن تأثير الذهب على الاقتصاد العالمي، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٠م.
- محمد حامد عبدالله، اقتصاديات الذهب، مجلة عالم الاقتصاد السعودية، العدد ١٤٤، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤م.

أقصوصتان من الشمال

سعيد محمود سالم
الإسكندرية - مصر

الضباب

إنه يوم تاريخي في السويد، فقد ارتفعت درجة الحرارة إلى أربع درجات مئوية فوق الصفر، وبدأ الجليد في الذوبان ليحل اللون الأخضر في هدوء موسيقي متناغم محل اللون الأبيض، وتعزف الغابات الشاسعة سيمفونيتها الخالدة بألحانها البنية والخضراء والبيضاء، بينما تتصاعد على مدى البصر أبخرة الماء فوق أسطح الأنهار والبحيرات التي راح جليدها يستسلم في نشوة للذوبان، وكأن الزمان السعيد الذي عاشه فوقها قد ولى عبثاً بغير استئذان إلى زمان آخر تغرد فيه بلابل الربيع أناشيد الحب والحياة، ويكتسي الجو كله بغمامة بيضاء مضببة تبعث في العقل حيوية لا حدّ لها، وتنعش الروح بالأمل والبهجة، فأتعجب لمشاعر الحزن والانقباض التي كانت تعتريني في أرض النيل والشمس والدين والدفء والحب كلما خيم الضباب على الجو، فيصطبغ يومي كله بصبغة من التشاؤم قائمة لا أمل في زحزحتها عن كاهلي، وأسأل في دهشة: أليس هذا أيضاً هو ضباب الله؟!

في الاستراحة الفخمة ونحن نشرب القهوة قال لي مدير إحدى المؤسسات التي أتدرب فيها: إن علاقته بجاره لا تتعدى تحية الصباح أو المساء، فأسأله عن سبب الخلاف الذي أدى إلى هذه القطعية بينهما، فيقول لي ضاحكاً:

- ليس بيننا خلاف أو قطيعة، وإنما هذه هي العلاقة الطبيعية بين جار وجاره، وحين تهب عواصف الشتاء الرعدية في مصر لا يهجر المقاهي روادها، وإنما يغلقون على أنفسهم الأبواب، ويواصلون انهماكهم الجنوني في الكلام، وإلقاء أحجار النرد، وسحب أنفاس النرجيلة؛ لينصهر ضجيجهم في ضجيج الراديو والتلفاز وصياح النادل، وهم سعداء بغفلتهم عن حركة الزمان وغفلته عنهم.

- عجباً لكم!

- لا مبرر للعجب؛ فإننا لا نحب كثرة الكلام، كما أن أحدنا ليس بحاجة إلى الآخر.

- ألا تحثكم القيم الدينية على التراحم؟!

- إن الصقيع يعلمنا الوحدة، والحقيقة أننا لا نشغل أنفسنا كثيراً بالغيبيات.

ولدى عودتي إلى المقر تلقيت خطاباً من أمي تنصحني فيه بارتداء الملابس الثقيلة اتقاءً للبرد، كما تحذرني من صنوف المحرمات كافة.

الوحشة

ظننت نفسي في مصر أو أوهمتها بذلك، فقلت: أتمشى بمفردي في تلك الشوارع اللامعة البراقة، أحدث نفسي بصوت خفيض، وأضحك في بعض الأحيان بطريقة هيستيرية هامسة، وأحرك حاجبيّ إلى أعلى وأسفل، وأخاطب كائنات وأفكاراً خرافية حتى أتحرر من قيود العمر،

وأعود طفلاً لاهياً لا يعرف التفكير فيما يهم من الأمور.



الشوارع خالية من المارة، نوافذ البيوت مغلقة تحجب جزءاً منها أصص الأزهار الملونة، ومن خلفها تبدو الستائر البيضاء المزركشة مساحةً من الفرحة تكسو لوحة كونية معجزة. الصمت هنا محير، أحبه حتى العشق، وأرهبه حتى الموت. أين أنتم أيها الناس من آلاف البشر الهائمين الآن – بلا هدف – في شوارع القاهرة تحت سماء زرقاء وشمس ساطعة، تحيط بهم جبال المقطم وتنثر عليهم أتربتها الصفراء العجوز، وتكتظ بهم المقاهي؛ يدخنون المعسل والسجائر، ويشربون أطناناً من الشاي الأحمر، ويثرثرون دون أن يعرف بعضهم بعضاً؟

لم أكن أتصور استحالة أن يتسكع إنسان في شارع أوربي لمدة ساعة أو ساعتين، يكاد أنفي يتجمد، وأشعر أنه يؤلمنى بشدة. حين خلعت قفازي لأشعل سيجارة احمرت يدي وارتعشت، وها هو ذا الموت يخيم على أشجار البيرس والباين العملاقة المكسوة بالجليد، ملقياً ثقله الكثيف على النهر المتجمد، والبيوت المغلقة، والشوارع الصامتة كالقبور. انتابني شعور قارس بالتعاسة لكوني إنساناً!!..

تحول هذا الشعور بعد قليل إلى خوف يقترب من الرعب، وكأن الطبيعة قررت اغتيالي فجأة ولا سند ولا معين ولامخلوق يوحد الله.

أدهشني أن هؤلاء الموتى يصخبون في المساء، ويعربدون رقصاً وغناءً وضجيجاً، ثم أعود لأجدهم في الصباح قد تحولوا إلى كائنات روبوتية لا يستطيع الواحد منهم أو لا يكاد ينظر بعينيه الإنسانيتين إلى الآخر.

هاجمني غم ثقيل جثم على صدري بعنف، وانهارت معنوياتي إلى الحضيض.

عدت مكتئباً إلى مقر إقامتي يقتلني الحنين إلى سماع صوت أم كلثوم،

وكانت ليلة حزينة بحق!.



تحقيق

مدينة مَدْيَن:

مغاير شُعَيب ليست مَدْيَن *

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - بريدة

أرض مدين من مراكز الحضارة في الجزيرة العربية القديمة، ولا عجب في ذلك، فأرضها خصبة، ومياهها وافرة، وفيها عيون جارية حتى وقتنا الحالي، وموقعها الجغرافي متميز، وفيها مواقع آثارية تُعدّ من أهم المواقع في جزيرة العرب، منها مغائر شُعَيب. كما عُثر بالمنطقة على عدة أماكن تظهر فيها نقوش نبطية، منها: الجبال الواقعة إلى الجنوب من شركة تبوك الزراعية، جبل قاع أبو مر، وجبل أبو مخروق، وجبل سربوط ثليثة، والحرة[1].

وبعد القرن السابع الهجري أطلق بعض الجغرافيين المسلمين على (البِدْع) اسم (مغائر شُعَيب)، ومازالت حتى الوقت الحالي تدعى بهذا الاسم. أما بعض المؤرخين فيرى أنها كانت تعرف في الزمن القديم باسم (مَدْيَن)، وأما الباحثون في الآثار فيطلقون عليها اسم (المقابر النبطية)[2].

والسؤال هنا: هل مغاير شُعَيب مساكن لشُعَيب كما أشارت بعض المصادر الإسلامية؟ أم مقابر للأنباط كما ذكر الرحالون المستشرقون، وأكدته الدراسات الحديثة لوكالة الآثار؟! عندما وصف القثامي مغاير شُعَيب قال: من الطبيعي أن جميع هذه الأضرحة كانت نبطية، وعلى هذا فهي قد تأسست بعد ما لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة من زمن جيثرو (شعيب)، غير أن من المذهل حقاً أن القرآن الكريم لم يذكر أي شيء عن العهد النبطي[3].

الأسهم العلوية تشير إلى غرف دفن قرب قمة التل الأوسط، أما السهم السفلي فيشير إلى فوهة سرداب منحوت في الصخر يؤدي إلى حجرة دفن



ويؤكد مؤلفو كتاب (البدع) أيضاً أن مغاير شُعَيب، والبتراء، ومدائن صالح، ما هي إلا مقابر نبطية حين قالوا: توجد في البدع مقابر نبطية أطلق عليها محلياً اسم (مغاير شعيب)، وتنسب إلى الحقبة المدْينية، وقد تبنى هذه الفكرة بعض المؤرخين والجغرافيين اعتماداً على أساطير قديمة، مع أن هذه الكهوف هي مقابر نقرت في واجهات المرتفعات الجبلية على غرار المقابر النبطية المنحوتة في كل من البتراء ومدائن صالح، وهي تؤرخ من القرن الأول ق.م، ولذا فهي معاصرة تماماً لهذين الموقعين، ولهذا فلا يوجد ارتباط بين المقابر المنحوتة في البدع وحقبة موسى[4]. كما جاء في إصدار آخر لوكالة الآثار والمتاحف أن (مغائر شُعَيب) أضرحة نبطية، حيث ورد ما نصه: «بها قبور منحوتة في الصخور، وترجع إلى العصر النبطي». كذلك ورد في الكتاب الصادر عنها الموسوم بـ (آثار منطقة تبوك) ما نصه: «مغائر شعيب: هي كهوف وأضرحة نبطية محفورة بالصخر»[5].

وفي كتاب (البِدع: تاريخها وآثارها) الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف، يؤكد مؤلفوه أن هذه المنطقة جذبت اهتمام الرحالين والجغرافيين المسلمين عند مرورهم بها، وظن بعضهم أن هذه المقابر تخص قوم شعيب، فأطلقوا عليها اسم (مغاير شعيب)؛ لأن البدع تقع في أرض مدين التي عاش فيها شعيب وقومه، ومن هؤلاء الجغرافيين الحِمْيَري.

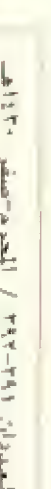
والحقيقة أنه لا يوجد دليل تاريخي أو أثري يربط بين هذه المقابر وشعيب وقومه، بل إن الأدلة التاريخية والأثرية والمعمارية تؤكد أنها من عمل الأنباط، كما ذهب إلى ذلك من وصفها من الرحالين والآثاريين، أمثال: موزل، وفلبي، وبيتربار، وهاردنج، ودايتون[6].

وجاء في موقع آخر أيضاً: وهم (أي: سكان البِدْع) يميزون بينها (أي: حفر استخراج الأحجار) وبين المقابر النبطية.. التي يعدونها خطأ مغاير لشعيب[7]. (انتهى باختصار ما ورد في بعض الكتب الصادرة عن وكالة الآثار والمتاحف).

التعليق:

سيأتي الحديث حول (مغائر شُعَيب) هل هي آثار لمدينة مَدْيَن، أم في بلاد مَدْيَن؟ لكنّ هناك أمراً عجيباً: لماذا أقوال فلبي وغيره من الرحالين أدلة تاريخية، بينما المصادر الإسلامية أساطير تاريخية؟! فهل شاهدوا العرق يتقاطر من أجساد الأنباط بسبب

الجانب الآخر للتل الغربي. والسهمان جهة اليمين يشيران إلى كهوف تبدو أنها مدافن متهدمة، أما السهم جهة اليسار فيشير إلى مقبرة تضم مجموعة من المدافن الجدارية. والأرقام تشير إلى مقابر واضحة المعالم



نحت جبال الحِجْر وغيرها من الجبال؟!! ثم ما الأدلة والبراهين الدامغة التي تستند إليها وكالة الآثار لكي نقتنع بأن نحت البيوت في الجبال من أعمال الأنباط ولا شيء غير هذا؟! وأما ما ذكرته الوكالة ففي نظري ما هو إلا نقل وتكرار لما ورد في كتب الغربيين وأبحاثهم. وللحكم على ما ذكر آنفاً يجب علينا أن نبحث في الآتي: هل أقوال فلبي وغيره من الرحالين أدلة تاريخية؟ وهل صحيح أن بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين اعتمدوا في كتاباتهم على أساطير قديمة؟ وهل ربط مَدْيَن بتاريخ النبي موسى أساطير تاريخية؟ أما القول بما نصه: «على غرار المقابر النبطية المنحوتة في كل من البتراء ومدائن صالح»، فأقول: على هذا الحال فالحِجْر ليست من أعمال الثموديين ونحتهم، وهذا يتعارض مع ما يفهم من بعض الآيات الكريمة!. ومع ذلك لا يستبعد الباحث أن يكون هناك إعادة استخدام لهذه البيوت من قبل الأنباط أو غيرهم، فتركوا لنا بعض الآثار كالنقوش وغيرها، فنسبت كل الآثار إليهم!.

هل حدث لبيوت مغاير شُعَيب إعادة استخدام؟

لقد غابت منطقة (مَدْيَن) عن كتابات معظم الكتاب الإغريق، ومن ثم انعكس ذلك سلباً في المصادر التالية. وعلاوة على ذلك نسب معظم الكتاب اليونان والرومان كل البلاد - أي منطقة مَدْيَن - إلى مصطلح معاصر لليونان، وإلى أمة عرفوها واحتكوا بها، وهم الأنباط، فنسبوا كل آثار المنطقة وتاريخها إلى هؤلاء القوم. ويجدر هنا السؤال: هل كان الأنباط هم ورثة أهل مدين جغرافياً وحضارياً، أو أن الأنباط فعلاً بقايا مدين؟[٨].

ومن الأدلة على أن هناك أمماً تعاقبت على سكن المنطقة وجود آثار لقرى كثيرة على ضفاف الوادي. والسؤال هنا: هل ما ذكرته إحدى الباحثات في الآثار يشير إلى أن هناك إعادة استخدام حين قالت: تشير الزخارف الظاهرة على المغاير إلى أنها من طراز متأخر جداً عن عصر مدين[٩].

الحقيقة أن المعلومات المنشورة عن البدع شحيحة، وتحتاج

الكريم، وليست مقابر للأنباط، كما أكدت الدراسات الحديثة!.

وفي وقتنا الحالي نجد مجموعة من القبائل تعيش في منطقة واحدة. ونلاحظ أيضاً أن القبيلة الواحدة تمتد لمسافات طويلة، فتشمل عدة مناطق، بل دول؛ مثال على ذلك: منطقة حائل يعيش فيها قبائل من شمر، وتميم، وعنزة، وغيرها من القبائل، ومع ذلك يمتد انتشار هذه القبائل حتى العراق.

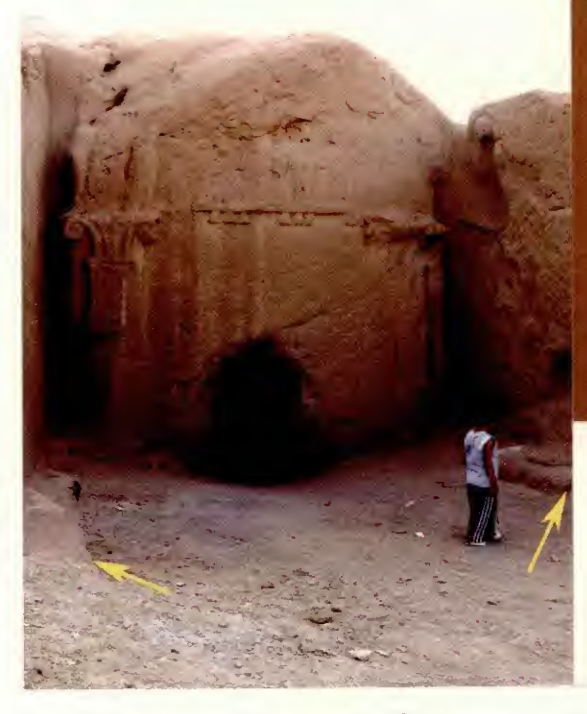
لذا يبدو أن بلاد ثمود لا تنحصر في المنطقة المعروفة في الوقت الحالي بـ (مدائن صالح)، فقد تبين للباحث أن آثار النحت في الجبال تمتد من خريبة العُلا جنوباً حتى البتراء شمالاً، والله بيّن لنا في محكم كتابه أن قوم ثمود ينْحتون من الجبال بيوتاً، فقال: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ (الحجر: ٨٢).

ولم يرد في القرآن أن قوماً غير ثمود ينحتون من الجبال بيوتاً. وقد حدد ابن كثير بلاد ثمود في تفسيره حين قال: كانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام.

كما ورد في التنزيل العزيز أن قوم ثمود نحتوا البيوت في الجبال، وأن سلطانهم امتد خارج الحِجْر، وصاروا خلفاء ممكنين في الأرض، قال الله في محكم كتابه: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوْا في الأرض مفسدين﴾ (الأعراف: ٤٧).

قال سيد قطب: «فهي حضارة عمرانية واضحة المعالم في هذا النص القصير.. وصالح يذكرهم استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد، وأن سلطانهم امتد خارج الحجر أيضاً. وبذلك صاروا خلفاء ممكنين في الأرض، محكمين فيها»[١٢].

ولأن طراز العمارة في مغاير شُعَيْب شبيه كل الشبه بالحِجْر؛ لذا فالباحث يرى أن نحت البيوت في مغاير شُعَيْب من أعمال قوم ثمود، إذ يُعتقد أن فرعاً من سلالة الثموديين الذين آمنوا مع صالح - أي الذين نجاهم الله تعالى من العذاب، وعاشوا في المنطقة بعد الهلاك - هاجروا من (الحِجْر) إلى فلسطين، ومارسوا فن النحت في الجبال الذي مارسه أسلافهم. قال تعالى: ﴿فلّما جاء أمْرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه﴾ (هود: ٦٦).



واجهة مقبرة تضم أشكالاً هندسية نادرة، ويظهر على جوانب الممر مدرج يبدو أنه معدّ للجلوس، كما يلاحظ طول الممر المنحوت من التل

المنطقة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث. أما كون بعض الباحثين المختصين في وكالة الآثار اكتشفوا أن البيوت حُفرَ فيها قبور فذلك ليس بجديد، فقد أشار المسلمون الأوائل إلى ذلك، ومنهم: الحِمْيَري الذي أكد وجود القبور في تلك البيوت بقوله: «وفي تلك القبور عظام بالية». (الحِمْيَري، ١٩٧٥م، ص ٥٢٦).

هل سكن الثموديون بلاد مَدْيَن؟

بعد الزيارات الميدانية المتكررة تبين أن هناك تشابهاً بين البيوت في: الحِجْر، وخريبة العُلا، ومغاير شُعَيْب، والبتراء، من حيث أنماط النحت وأعماله وأشكاله. ومن يتفحص طريقة نحت البُيُوت في مغاير شُعَيْب فسيتبين له جلياً أنها نسخة واضحة لما هو موجود في الحِجْر. وقد سبق أن أوضحت بما فيه الكفاية، وبما يغني عن الإعادة بمجلة الفيصل[١٠]، وفي صحيفة الجزيرة[١١]، وفي كتبي عن العُلا والحِجر، أن الحِجْرَ في الأصل بيوت لثمود كما أشار القرآن

وقد يكون هناك تشابه في الدار بين قوم ثمود وشُعيب بحكم قربهما بعضهما من بعض، كما تشابه في وقتنا الحالي المساكن (الفلل) والعمائر المتعددة الأدوار (الأبراج) بين الحجاز ونجد والشام، قال تعالى: ﴿كأن لم يَغْنَوْا فيها ألا بُعداً لمدين كما بَعِدَتْ ثمود﴾ (هود: ٩٥).

قال ابن كثير: قوله «كأن لم يغنوا فيها»، أي: يعيشوا في دارهم قبل ذلك، «ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود»، وكانوا جيرانهم قريبين منهم في الدار، وشبيهين بهم في الكفر وقطع الطرق، وكانوا عرباً مثلهم.

ومع ذلك لا أستبعد إعادة استخدام هذه البيوت من قبل الأنباط أو غيرهم من الشعوب والقبائل الأخرى، قال تعالى: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضرَبنا لكم الأمثال﴾ (إبراهيم: ٤٥).

قال القرطبي: «أي في بلاد ثمود ونحوها، فهلا اعتبرتم بمساكنهم بعدما تبين لكم ما فعلنا بهم، وبعد أن ضربنا لكم الأمثال في القرآن». وقال الطبري: «قال ابن زيد في قوله: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ قال: سكنوا في قراهم مدين والحجر والقرى التي عذب الله أهلها، وتبين لكم كيف فعل الله بهم وضرب لهم الأمثال»[١٣].

وهناك عدة نصوص تشير إلى أن الثموديين سكنوا المنطقة، ومن ثم لا يستبعد أن تكون من أعمالهم. فعندما تحدث الجغرافي بطليموس (عاش في القرن الثاني الميلادي) عن بلاد العرب السعيدة ذكر أن الثموديين سكنوا على الشاطئ الأعلى لهذا الخليج. وأكد الباحث فورستر أن بطليموس قصد بالخليج اللحياني ما يعرف اليوم باسم خليج العقبة الذي يمثل رأس البحر الأحمر[١٤].

ولعل من الأدلة على أن ثمود سكنوا المنطقة أنه عثر في أرض مدين على مجموعة من الرسوم والكتابات، تبين من خلالها أن بعضها بخط ثمودي، وهذا يشير إلى أن بعض القبائل الثمودية كانت تسكن في منطقة البدع[١٥]. كما عثر في مغاير شُعيب على مجموعة من الرسوم الصخرية والكتابات العربية القديمة، منها النقش المكتوب بخط البادية (الثمودي) الذي يمكن قراءته كما يأتي: (لوائل بن كفل من قبيلة جبعان)[١٦].

أين موقع مدينة مدين؟

لقد استعرضت ما تمكنت من جمعه من النصوص القديمة،

عثر في أرض مدين على مجموعة من الرسوم والكتابات، تبين من خلالها أن بعضها بخط ثمودي، وهذا يشير إلى أن بعض القبائل الثمودية كانت تسكن في منطقة البدع

وبعد أن رسمتُ صورة في ذهني قارنتُ بين ما قاله الجغرافيون المسلمون الأوائل والمؤرخون القدماء وما قاله الباحثون المتأخرون، فتبين لي أن هناك اختلافاً في تحديد موقع مدين!. فمن المصادر التاريخية ما يحدد مكان مدين في الشام، ومنها ما يحدد موضعها جنوب صحراء سيناء!. أما الباحثون المتأخرون فبعضهم يؤكد أن مدين تسمى في الوقت الحالي بـ (البِدْع)، وفيما يأتي عرض لبعض الاختلافات في تحديد مكان مدينة مَدْيَن:

١- مَدْيَن في الشام:

حدد البكري موقع مدين بأنه تلقاء غزة حين قال: «مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة، وهو المذكور في كتاب الله تعالى. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى مدين أميرهم زيد بن حارثة، فأصاب سبياً من أهل ميناء، قال ابن إسحاق: وميناء هي السواحل، فبيعوا، وفرق بين الأمهات وأولادهن، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقال: ما لهم؟ فأخبر خبرهم، فقال: لا تبيعوهم إلا جميعاً. ومدين منازل جذام. والصحيح في نسبه أنه جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان».

وشعيب النبي المبعوث إلى أهل مدين أحد بني وائل من جذام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد جذام: «مرحباً بقوم شعيب، وأصهار موسى، ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له». ومدين من أعراض المدينة أيضاً مثل فدك والفرع ورهاط[١٧].

كما أورد المقدسي (ت ٥٠٧هـ) ما يفيد بأن مدين من بلاد الشام بقوله: «ومن الشام حمص، ودمشق، وصور، وعكة، وطبرية، وقيسارية، ورسوف، والرملة، وبيت المقدس، وعسقلان، وغزة، ومدين، والقلزم»[١٨].

قُلْتُ: هناك اختلاف بين المصادر بشأن حدود الشام،

فبعضهم يَعُدُّ خليج العقبة من الشام. بل بعض المؤرخين جعل مدينة العُلا من الشام!. أما مدينة القُلْزم فهي تسمى في وقتنا الحاضر (السويس) على خليج السويس في دولة مصر.

قال ابن كثير: كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط. وكانوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة[19].

قُلْتُ: بحيرة قوم لوط تسمى في الوقت الحاضر: البحر الميت، وهو يقع في الجهة الشمالية من البِدْع، ويبعد عنها ٢٨٨كم. أما معان فهي تقع شمال البِدْع على بعد ١٩٥كم.

٢- مَدْيَن هي (مَقْنَا):

ذكر شرف الدين أن الباحثين المتأخرين حدّدوا مكان مَدْين بمكنا حين قال: بينما حدّد الباحثون المتأخرون مكانه بمكنا، وبهذا المكان نزل نبي الله موسى فاراً من فرعون مصر، ثم التقى شعيباً وأنكحه إحدى ابنتيه كما قص القرآن الكريم[20].

قُلْتُ: يبدو أن المقصود بـ (بمكنا) أي بلدة مَقْنا على خليج العقبة. لكن - بلا شك عندي - أن مَدْين مكان، ومَقْنا مكان آخر. وقد فرق بينهما كثير من المؤرخين، ومنهم ياقوت. فمدين ورد ذكرها عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى مدين أميرهم زيد بن حارثة. كذلك مَقْنا معروفة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم، مما يشير إلى أن مدين ومَقْنَا ليسا اسمين لمكان واحد، وقد أكد ذلك صاحب كتاب الطبقات الكبرى (ولد سنة ١٦٨هـ، وتوفي ٢٣٠هـ) حين قال: «كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مقنا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم ربع غزولهم، وربع ثمارهم. قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا بن أبي ذئب قال: أخبرنا صالح مولى التؤمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل مقنا»[21].

وقال الحِمْيَري (ت ٧٢٧هـ): «مع[22] يهود مدين كتاب يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبه لهم، وهم يظهرونه للناس حتى الآن. وهو في قطعة أديم قد اسودت لطول الزمن عليها، إلا أن خطها بين. وفي آخره: وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، غير معرب»[23].

وقال قوم: إنه بخط معاوية بن أبي سفيان، ولم يذكر علياً، وهو عند أهل قرية من ساحل مدين يقال لها: مسي، ومن هناك لا تزال تسير والجبال تيامنك والبحر بيسارك حتى تفضي إلى أيلة»[24].

قُلْتُ: يبدو أن المقصود بـ (مسي) أي بلدة مَقْنا. إذ أكد لنا البلاذري (توفي ٢٧٦هـ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل مَقْنَا بقوله: صالح أهل مقنا على ربع عروكهم وغزولهم، والعروك: خشب يصطاد عليه، وربع كراعهم وحلقتهم، وعلى ربع ثمارهم، وكانوا يهوداً. وأخبرني بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه في جلد أحمر دارس الخط فنسخه وأملى نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني حبيبة وأهل مقنا[25].

وقالت صاحبة كتاب (أهل مدين) عن مَقْنَا: «يوجد بها مصلى موسى، أو مسجد موسى. وبئر موسى بها أيضاً، وهي البئر التي تقرن باستقاء النبي موسى عليه السلام لغنم الفتاتين»[26].

٣- مدين ليست على ساحل البحر:

أشار البكري إلى أن مَدْين ليست على ساحل البحر حين قال: «إن الأيكة من مدين إلى شغب وبدا. والثانية أنها من ساحل البحر إلى مدين»[27].

قُلْتُ: قوله (من ساحل البحر إلى مدين) يدل على أن مدين ليست على ساحل البحر. أما شغب وبدا فهما منزلان يقعان على طريق الحج المصري الخارجي (في البرية)، وتحديداً في منتصف المسافة ما بين البِدْع والعُلا.

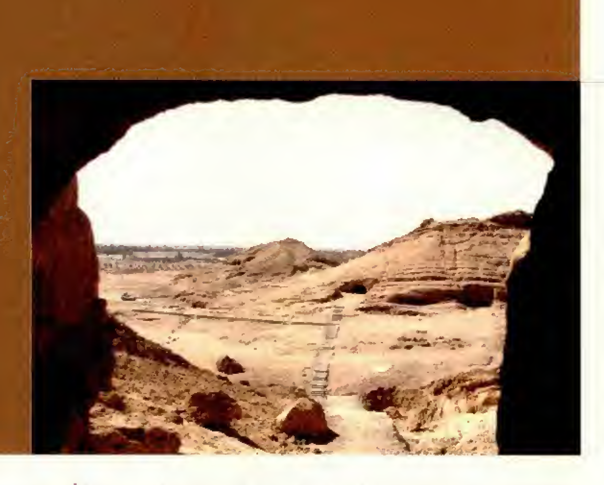
كما ذكر صاحب كتاب (تاريخ مدينة دمشق) أن مدين ليست على الساحل حين قال عن أصحاب الأيكة: كانوا أصحاب غيضة بين ساحل البحر إلى مدين[28].

وقال ياقوت: «مدين وتبوك متجاورتان»[29].

قُلْتُ: يفهم من الكلام أنهما قريبتان بعضهما من بعض في البرية، وهذا لا نجزم به؛ لأن ياقوت أفادنا في موقع آخر - كما سيأتي ذكره - أن مَدْيَن على الساحل.

كذلك يؤكد مؤلفو كتاب (آثار منطقة تبوك)، الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف، أن مدين ليست على ساحل البحر بقولهم: أما

عثر في مغاير شُعيب على مجموعة من الرسوم الصخرية والكتابات العربية القديمة، منها النقش المكتوب بخط البادية (الثمودي)



منظر التقط من داخل إحدى المقابر، ويشاهد عبر المدخل: إلى اليمين التل الأوسط، وإلى اليسار جانب من بلدة البدع، وفي الوسط التل الشرقي



مدخل أحد البيوت في التل الشمالي عند نقطة التقاء الشبك مع التل بالقرب من الطريق العام، ويلاحظ أن ارتفاع المدخل نصف متر؛ مما يوحي بأن البيت مطمور بالأتربة بفعل بشري



الجانب الآخر لحجرة الدفن، ويلاحظ سمك طبقة الأتربة! (إذا كانت المقبرة في مكان مرتفع فما الذي أتى بالأتربة الكثيرة إلى هنا؟ أم أن هذا عمل بشري بهدف إخفاء المدافن؟)

المدن والقرى الداخلية فتقع في الظهير الجغرافي للسهل الساحلي حيث توجد الواحات ومصادر المياه، وأهمها: مدين[٣٠].

٤- **مَدْيَن هي (مغائر شُعَيْب):**

يقول المؤرخ الإغريقي إيو سيبوس: إلى أهل مدين وأصحاب الأيكة أرسل الله نبيه شعيباً. وقد حدد موسل مقره بمغاير شعيب[٣١].

كما وصف صاحب المناسك طريق مصر، وبيَّن لنا أن مدين هي (البدع) بقوله: ومنها إلى أيلة، ومنها يفترق طريق الساحل والبرية. فطريق البرية من أيلة إلى شرف البعل، ومنها إلى مدين، ومنها إلى فالس، ومنها إلى الأغر. وعندما تحدث عن منازل طريق الساحل قال: من أيلة إلى عينونا[٣٢].

وقال النابلسي: سميت مغاير شعيب؛ لأن نبي الله شعيباً - على ما يقال - كان يتعبد في تلك المغاير. وذكر لنا أن رجلاً كان مرة هناك فشم رائحة طيبة، فتبع تلك الرائحة، إلى أن وصل إلى تلك المغارة، فوجد داخلها رجلاً في تابوت بكفن أبيض، ووجد تلك الرائحة الطيبة تخرج منه[٣٣].

وتحدث الدكتور عبدالله نصيف عن البِدْع فقال عنها: الاسم القديم لهذه المدينة غير معروف، ولكن من المرجح جداً أنها مدينة مدين القديمة[٣٤].

كذلك تطرق القثامي إلى مَدْين فأشار إلى أنه اسم لمملكة قديمة لا تزال آثارها باقية، وتعرف عاصمتها حالياً بالبدع[٣٥].

ونقل لنا بكر أيضاً المعلومات نفسها بقوله: «مدين اسم مملكة قديمة. لاتزال آثارها باقية في شمال الحجاز، وتعرف





واجهة مقبرة تضم أشكالاً هندسية نادرة، ويظهر على جوانب الممر مدرج يبدو أنه معدّ للجلوس، كما يلاحظ طول الممر المنحوت من التل

عاصمة هذه المملكة الآن بالبدع. ومدين كذلك اسم لموضع البئر التي استقى منها موسى عليه السلام عندما هرب من مصر، كما أنها اسم لقوم شعيب»[٣٦]. ويؤكد في موقع آخر: «البدع هي بقايا مدين العاصمة»[٣٧].

وأورد الحِمْيَري: «مدين[٣٨] في الطريق من مدينة النبي عليه السلام إلى مصر، وهي بين جبال شامخة متكاثفة[٣٩].. وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة في صخر صم قد حفر في البيوت قبور»[٤٠].

كما ذكر صاحب كتاب (مُعْجَم مَعَالم الحِجَاز) في رسم مَدْيَن: «قيل مَدْين القبيلة، والأرض الأَيْكة، ومكان شعيب ومغائره الثابتة بالدلائل التاريخية هو اليوم (البِدْع)»[٤١]. ويضيف البَلادِيّ: «آخر أثر اكتشف فيها مقبرة في جوف صفراء شعيب ترى أكفان أهلها كأنها جدد، فإذا لمست ذابت»[٤٢]. ويضيف البَلادي أيضاً في موقع آخر: «البِدع:.. وهي ما كان يسمى (مَدْين).. وبها آثار نبي الله شُعيب المعروفة بمغاير شعيب، وبها مكان يقال له: مصلى شعيب»[٤٣].

أما في كتاب (البدع: تاريخها وآثارها) فقد ورد: «تقع البدع في بطن وادي عفال، وهي واحة قديمة اشتهرت باسم (مدين)»[٤٤].

وخلال القرن الماضي اهتم بآثار هذه المنطقة عدد من المؤرخين، ومع ذلك لا تزال تفاصيل تلك الحضارة رهينة إجراء المجسات والبحوث الدقيقة. كما زار المنطقة عدد من الرحالين الغربيين، منهم: فلبي في عام ١٩٥٣م، وروبل عام ١٨٥٠م، ودوتي.

وقد حدد بعض الرحالين مَدْيَن بمكان البِدْع، ومنهم: بيرتون الذي زارها في عام ١٨٧٧م، وكان هدفه الأول البحث عن المعادن الثمينة بتكليف من والي مصر. كما وصف البِدْع وأشار إليها باسم (مدينة مدين)، وذكر أنه قام بمشاهدة مغائر شعيب التي تقع على طريق الحج. وزار البدع أيضاً موزيل في عام ١٩١٠م، وذكر أن من المحتمل أن تكون البدع هي مدين[٤٥].

٥ - مَدْين بين خليجي العقبة والسويس:

ورد في الكتاب الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف ما نصه: «خاصة أن المصادر التوراتية القديمة تؤكد أن قصة موسى حدثت في سيناء»[٤٦].

وذكر القرطبي: «مدين بين أيلة والطور»[٤٧]. كما حدد الطبري موقع مدين بأنه بين أيلة والطور بقوله: «كانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها: مدين»[٤٨].

قُلْتُ: يفهم من كلامهما - رحمهما الله - أن مدين جنوب صحراء سيناء، بين خليجي العقبة والسويس. ويبدو لي أن هناك لبساً قد حدث. فعندما قال القرطبي: «مدين بين أيلة والطور»، يظهر أن صوابه كما قال ابن كثير في تفسيره بما نصه: «أيلة بين مدين والطور»[٤٩]. وقد يفهم من كلامهما أن مَدْيَن تقع بين العقبة (أو إيلات) والطور، حيث تقع (أيلة) على رأس خليج العقبة، وتسمى في الوقت الحاضر (إيلات) بالقرب من العقبة،

وهما مدينتان يفصل بينهما وادي عَرَبَة بعرض ٦كم تقريباً. مدينة العقبة في دولة الأردن على ضفته الشرقية. أما إيلات فهي على ضفته الغربية، وكانت تسمى نقطة المرشش قبل أن تغتصبها إسرائيل.

قال ياقوت: حقل مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً، كان لعزة صاحبة كثير فيها بستان، فقال:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا
بحقل لكم يا عز قد زانتا حقلا
نجاء الثريا كل آخر ليلة
تجودهما جوداً وتردفه وبلا

وقال ابن الكلبي: حقل ساحل تيماء، وقال أبو سعد: حقل قرية بجنب أيلة على البحر، ونسب إليها أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم بن أعين الحقلي مولى نافع مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان إماماً فقيهاً فاضلاً توفي في شهر رمضان سنة ٢٢٤هـ، ومولده سنة ١٥٤هـ[٥٠].

أما جبل الطور فهو من أهم جبال مدين، ويقع بين خليج العقبة وخليج السويس. قال ابن منظور: قوله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾، أقسم الله تعالى به، قال: «وهو الجبل الذي بمدين الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه تكليماً»[٥١]. ويجب علينا التنبه إلى أن هناك طوراً آخر في الشام. وهنا نسأل: هل قصد كل من القرطبي والطبري هذا الجبل؟ وهناك من يرى أن جبل الطور هو جبل اللوز في الوقت الحالي. وبلسان النبط أيضاً كل جبل يقال له: طور. قال ياقوت: «أما اليهود فلهم فيه اعتقاد عظيم، ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه، وعندهم في التوراة أن الذبيح إسحاق عليه السلام»[٥٢]. وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور، ولا يخلو من الصالحين، وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق. وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام عند خروجه من مصر ببني إسرائيل، وبلسان النبط كل جبل يقال له: طور، فإذا كان عليه نبت وشجر قيل: طور سيناء. والطور جبل بعينه مطل على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ، على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء، موثقة الأرجاء، يجتمع في كل عام بحضرتها سوق، ثم بنى هناك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قلعة حصينة»[٥٣].

قُلْتُ: تقع طبرية غرب بحيرة طبرية، ويحيط بهذه البحيرة في الوقت الحالي ثلاث دول، هي: فلسطين، وسورية، والأردن. وقد وصفها ابن بطوطة فقال: ثم سافرت منها (أي: صيدا) إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة، ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها، وبها الحمامات العجيبة، لها بيتان: أحدهما للرجال، والثاني للنساء، وماؤها شديد الحرارة، ولها البحيرة الشهيرة، طولها نحو ستة فراسخ، وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ. وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الأنبياء، فيه قبر شعيب وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام، وقبر سليمان[٥٤].

رأي الباحث:

بلا أدنى شك عندي أن في مَدْيَن: البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شُعَيْب عليه السلام، وفيها شجرة موسى، وقبر موسى. والنصوص التي تؤكد ذلك كثيرة، وقد وردت في هذا المبحث بما يغني عن التكرار.

لذا علينا التنبه وتمحيص النصوص، خصوصاً إذا كان مصدرها من اليهود، كالقول بأن الذبيح إسحاق، وليس إسماعيل. ولكن مكان مَدْين ليس كما تصور بعض الباحثين أنها تسمى في وقتنا الحالي (مغائر شُعَيْب). فمن خلال النصوص التي أوردتها آنفاً يتضح لنا أن هناك اختلافاً في تحديد موقع مدينة مدين، أما الباحث فيري الآتي:

أولاً: ليست جنوب صحراء سيناء

قُلْتُ: من الملاحظ على إصدارات وكالة الآثار أنها تتعارض مع المصادر الإسلامية القديمة، ويمكننا القول: إنها نقل وتكرار

بحيرة قوم لوط تسمى في الوقت الحاضر: البحر الميت، وهو يقع في الجهة الشمالية من البدْع، ويبعد عنها ٢٨٨كم. أما معان فهي تقع شمال البدْع على بعد ١٩٥كم

هناك اختلاف بين المصادر بشأن حدود الشام، فبعضهم يَعُدُّ خليج العقبة من الشام، بل بعض المؤرخين جعل مدينة العُلا من الشام

لما ورد في المصادر الأخرى. ومن هذه النصوص القول بأن «قصة موسى حدثت في سيناء مع شيخ مؤمن من أهل مدين تسميه (جثرو) لا علاقة له بشعيب الوارد ذكره في القرآن الكريم»[٥٥].

وكذلك القول: إن هذه البئر ربما كانت إحدى الآبار التي حفرها الأنباط، خصوصاً أن المصادر التوراتية القديمة تؤكد أن قصة موسى حدثت في سيناء[٥٦].

أقول حيال ذلك: القول بأن قصة موسى حدثت في سيناء فذلك مستبعد الحدوث لأسباب، منها:

١- مدين تقع في الطريق بين القدس والمدينة، ولعل مرور الرسول صلى الله عليه وسلم بها يؤكد أنها ليست في سيناء. فقد ورد في صحيح ابن حبان أن الله جل وعلا أحيا موسى في قبره حتى مر عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، وذاك أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، فرآه صلى الله عليه وسلم يدعو في قبره؛ إذ الصلاة دعاء[٥٧].

أما صاحب كتاب (فتح الباري) فيذكر: «زعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة، ولا من بيت المقدس»[٥٨].

جاء في (المعجم الكبير) أيضاً: «ثم قال صلى الله عليه وسلم: فصليت ثم ركبنا، فقال: تدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت بمدين، صليت عند شجرة موسى، ثم انطلقت»[٥٩]. وفي (مسند البزار) قال: «صليت بمدين، صليت عند شجرة موسى»[٦٠].

٢- هناك عدة نصوص تشير إلى أن مكان مَدْين بالنسبة إلى مصر أبعد من صحراء سيناء بمسافة ليست قصيرة. ومنها ما أورده المقدسي في (الأحاديث المختارة) بما نصه: عن ابن عباس قال: لما خرج موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، وبينه وبينها ثماني ليال، قال نحواً من البصرة إلى الكوفة[٦١]. لكن في تفسير الأعقم: روي أن بين مدين ومصر ثماني مراحل[٦٢].

قُلْتُ: يبدو أن هناك لبساً قد حدث، وصوابه: ثماني ليال، خصوصاً أن كثيراً من المراجع أكد ذلك. فقال صاحب كتاب (الأنس الجليل) عند ذكر قصة أرض مدين: «فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى صار في أرض مدين في اليوم السادس والسابع وبه جهد من الجوع والعطش، وإذا بجماعة من أهل مدين على بئر»[٦٣].

وجاء في تفسير الطبري: «لما خرج موسى من مصر إلى مدين وبينه وبينها ثماني ليال كان يقال نحو من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه. ومدين كان بها يومئذٍ قوم شعيب عليه السلام، ولما توجه تلقاء مدين، ومدين ماء»[٦٤].

ويضيف الطبري أيضاً في تاريخه: «عن سعيد بن جبير قال: خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثماني ليال»[٦٥].

٣- ورد في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين المسلمين أن المكان في الجهة الشرقية من خليج العقبة، ومنهم السيوطي حيث قال: «ثم يرحل إلى حفل[٦٦] مرحلة واحدة، ثم إلى بر مدين في أربع مراحل. وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام، ويقال: إن ماءها هو الذي سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام غنم بنات شعيب، ثم يرحل إلى عيون القصب في مرحلتين، ثم إلى المويلحة في ثلاث مراحل، ثم إلى الأزلم في أربع مراحل»[٦٧].

٤- وقال القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى): «ثم منها إلى حفن على جانب طرف بحر القلزم - وفيها ماء طيب من الحفائر - ثم منها إلى عش الغراب، ثم منها إلى آخر الشرفة. ثم منها إلى مغارة شعيب - وبها ماء ومصنع - ثم منها إلى وادي عفان. ثم منها إلى ذات الرخيم، ثم منها إلى عيون القصب -وبه ماء نبع وأجمة قصب نابتة فيها - ثم منها إلى المويلحة»[٦٨].

٥- وبَيَّن لنا ابن خلدون في مقدمته أيضاً أن مَدْين بين العقبة وأملج حين قال: «بعد السويس فاران، ثم جبل الطور، ثم أيلة مدين، ثم الحوراء في آخرها، ومن هنالك ينعطف بساحله إلى الجنوب في أرض الحجاز»[٦٩].

ويؤكد ابن خلدون أيضاً في موقع آخر أن مدين بين العقبة وجدة بقوله: «القلزم وبحر السويس، وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل، وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن، ثم الحجاز وجدة ثم مدين وأيلة، وفاران نهايته»[٧٠].

٦- بالنسبة إلى المسافات فنحسبها كالآتي: المرحلة = ٢٧,٥كم تقريباً، فتكون المسافة ما بين السويس والفسطاط ٨٢,٥كم؛ لأن



جانب من الجدول المائي

٣×٢٧,٥ = ٨٢,٥كم. والمسافة ما بين السويس والعقبة ٢١٠كم.

وإذا كانت المسافة من البصرة إلى الكوفة ٣٧٥كم، فهذا يعني أن مسافة اليوم الواحد ٤٧كم. وبما أن المسافة من الفسطاط إلى أيلة ٢٩٢,٥كم فذلك يدل على أننا في هذا المكان قطعنا صحراء سيناء. ومع ذلك هناك نقص في المسافة يستدعي أن نتعدى هذه الصحراء بمسافة أطول. وهي كالآتي: ٣٧٥ - ٢٩٢,٥ = ٨٢,٥كم. والمسافة ما بين البِدْع وأيلة ١١٨كم. أما من أيلة إلى مَقْنَا فهي ١٣٠كم، وكلا الموقعين يتوافق مع بعض النصوص التي بينت لنا أن مَدْيَن جنوب العقبة بخمس مراحل.

ثانياً: مدين على ساحل خليج العقبة

الذي ظهر لي أن مكان مدين في الزمن القديم ليس البِدْع في الوقت الحالي، وإنما هي ميناء على ساحل خليج العقبة. وهناك كثير من النصوص التي تؤكد ذلك، فقد ذكر المؤرخ يوسيفوس (القرن الأول الميلادي) أن مدينة مَدْيَن تقع على البحر الأحمر[٧١].

وقال المقريزي: مدين على بحر القلزم[٧٢].

منظر من قرب يوضح تفاصيل أحد منابع عين (الطباخة)، ولاحظ ما يشبه ماء يغلي في إناء (يطبخ)

وقال الحِمْيَري: «مدين[٧٣] بالشام على ساحل بحر القلزم، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب. قال الله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ)[٧٤]، ويحكى أنها بئر معطلة[٧٥]، وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب، وفيها معايش ضيقة، وتجارات كاسدة، ومن مدين إلى أيلة خمس مراحل. ومدين الذي سميت به البلدة هو مدين بن إبراهيم»[٧٦].

قُلْتُ: يسمى بحر القُلْزُم في الوقت الحاضر البحر الأحمر. أما القول بأن مَدْيَنَ على ساحل بحر القُلْزُم فهذا يؤكد أنها ميناء على خليج العقبة، وليست مدينة داخلية (في البرية) كالبِدْع. قال ابن منظور: الساحل شاطئ البحر، والساحل ريف البحر، فاعل بمعنى مفعول؛ لأن الماء سحله؛ أي: قشره أو علاه، وحقيقته أنه ذو ساحل من الماء إذا ارتفع المد، ثم جزر فجرف ما مر عليه[٧٧].

وقال ياقوت: «مَدْيَن بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الياء المثناة من تحت وآخره نون. قال أبو زيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك.. ومدين اسم القبيلة، وهي في الإقليم الثالث، طولها إحدى وستون درجة وثلث، وعرضها تسع وعشرون درجة، وهي مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام.

قال القاضي أبو عبدالله القضاعي: مدين وحيزها من كورة مصر القبلية، وقال الحازمي: بين وادي القرى والشام، وقيل: مدين اتجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل، وبها استقى موسى

عليه السلام لبنات شعيب، وبها بئر قد بُني عليها بيت، وقيل: مدين اسم القبيلة: ولهذا قال الله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيباً)»[٧٨].

وجاء في المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨١ - ٥٤١هـ) في تفسير قوله تعالى: (واسْأَلْهُمْ عَن القرية التي كانت حاضرة البحر): (القرية) هنا مدين[٧٩].

كما ورد في هامش كتاب (المغَانم المُطَابة في معالم طابة) للفيروزابادي - الذي حققه الشيخ حمد الجاسر - ما نصه: «قال المقريزي: مدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه الصلاة والسلام لسائمة شعيب وعمل عليها بيتاً»[٨٠].

وقال الجزيري في «درر الفوائد المنظمة»: «أرض مدين بشاطئ البحر على يوم من المغارة»[٨١].

كما ذكر عبدالمجيد الفاسيُّ المتوفى سنة ١١٦٣هـ في رحلته: وبين هذا الموضع - مغاير شعيب - وبين مدين مسيرة نصف يوم، وهي بلدة على ساحل البحر[٨٢].

وقال الشيخ أبو سالم في «الرحلة العياشية»: «يقال: إن هناك كانت البئر التي استقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب، وبينهما وبين مدين نصف يوم، بلدة على الساحل»[٨٣].

ويشير الإدريسي إلى أن مَدْيَن شمال الحجاز وجنوب أيلة حين قال: «ويتشعب أيضاً من هذا البحر الصيني خليج القلزم، ومبدؤه من باب المندب وحيث انتهى البحر الهندي، فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل بغربي اليمن، ويمر بتهامة والحجاز إلى مدين وأيلة وفاران حتى ينتهي إلى مدينة القلزم، وإليها ينسب»[٨٤]. كما أفادنا الإدريسي عندما حدد لنا موقع مَدْيَن في أثناء وصفه الطريق من مصر إلى مدينة يثرب حيث قال: «ثم إلى أيلة، ثم إلى حقل، ثم إلى مدين، ثم إلى الأعراء»[٨٥].

قُلْتُ: أفادنا الإدريسي أن مَدْيَن بين حقل والأعراء، وهي - أي: الأعراء - تقع في طريق الحج المصري الخارجي (في البرية) في

اهتم بآثار منطقة البدع خلال القرن الماضي عدد من المؤرخين، ومع ذلك لا تزال تفاصيل تلك الحضارة رهينة إجراء المجسات والبحوث الدقيقة

الجهة الجنوبية الشرقية من البِدْع، وتبعد عنها نحو ٦٠كم، ومع ذلك فهذه المعلومة حددت لنا مكان مَدْيَن بين حقل والأعراء، ولم تحدد لنا موقع مدين: أفي البرية، أم على الساحل؟ فالمعلومة تحتمل احتمالين: الأول: البِدْع هي مَدْيَن، فهي تقع على طريق الحج (في البرية) من حقل إلى الأعراء. أما الاحتمال الثاني فهو أن مَدْيَن تقع على ساحل خليج العقبة، لكن الإدريسي أفادنا في موقع آخر أن مكان مَدْيَن بين حقل والحوراء (شمال أملج)، وكلاهما منزل على ساحل البحر. كذلك قدم لنا صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) معلومات قيمة عندما وصف الطريق الآخر على ساحل البحر القلزمي من مصر إلى مكة حين قال: «ومن جبيلات إلى جبل الطور إلى الأيلة إلى الحقل إلى مدين إلى الحوراء إلى الجار إلى قديد إلى عسفان إلى بطن مر إلى مكة[٨٦]». بل أزال الإدريسي عنَّا الغمام عندما أكد لنا في موقع آخر أن مَدْيَن على ساحل البحر بقوله: «على ساحل بحر القلزم مدينة مدين، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ويحكى أنها بئر معطلة، وقد عمل عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري إليهم، وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب، وبها معايش ضيقة، وتجارات كاسدة. ومن مدينة مدين إلى أيلة خمس مراحل، ومن أيلة إلى الحجاز نحو من عشرين مرحلة، ومن مدين إلى تبوك في البرية شرقاً ست مراحل، ومدينة تبوك بين الحجر وبين أول الشام، وأول الشام منها على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام.. ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيباً كانوا بها، وكان شعيب من مدين. والحجر من وادي القرى على مرحلة.. ومن الحجر إلى تيماء أربع مراحل، ومن تيماء إلى خيبر أربع مراحل»[٨٧].

قُلْتُ: بمقارنة المراحل فهذا يعني أن المسافة ما بين أيلة ومَدْيَن تعادل خمسة أسداس المسافة ما بين تبوك ومَدْيَن، وهذا يتطابق مع قياس البِدْع. أما على ساحل البحر فهو يشير إلى مكان جنوب مَقْنَا.

قال ياقوت: «فتنزل الحوراء أول أرض مصر، وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المذكور، وهو بحر القلزم، وهو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه، فالشرقي منه أرض الحوراء وطبة فالنبك وأرض مدين، وأرض أيلة فصاعداً إلى المقطم بمصر، والغربي منه ساحل عيذاب إلى



منظر من قرب يوضح تفاصيل الشكل المستطيل

منظر من قرب يوضح تفاصيل الجانب العلوي من مدخل إحدى الغرف، وتظهر بقايا مادة من الجص تحيط بالمدخل

بحر القلزم إلى المقطم، والبحري مدينة القلزم وجبل الطور، وبين القلزم والفرما مسيرة يوم وليلة، وهو الحاجز بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم»[٨٨]. كذلك حدد ياقوت مدين في موقع آخر بأنها بين مصر والمدينة بقوله: «العونيد: موضع قرب مدين بين مصر والمدينة من أعمال مصر قرب الحوراء»[٨٩].

قُلْتُ: يعرف بحر الروم في الوقت الحالي باسم البحر الأبيض المتوسط، وهذا في نظري كجغرافي خطأ. وصوابه البحر المتوسط. أما الحوراء فهي تقع في الوقت الحاضر شمال أملج على بعد ٨كم. وأما النبك في الوقت الحالي فهي قرب المويلح على ساحل البحر الأحمر. ومن هنا يظهر للدارس أن ياقوتاً يقصد بـ «طبة» أي (ظبا) كما تسمى (ضبا)، ولا إشكال في الاختلاف في كتابة الاسم، ولعل وقوعها على ساحل البحر في مكان متوسط بين النبك والحَوْراء يؤكد ذلك. أما العونيد فهي تقع ما بين البدْع والحَوْراء، تحديداً شمال الوجه بنحو ٣٧كم. ويلاحظ أن المسافة ما بين العونيد والحَوْراء نحو ٢٠٠كم. أما ما بين البدْع والعونيد فـ ٣٠٠كم تقريباً؛ ومن هنا يتبين لنا أن مدينة مدين بعيدة عن العونيد. ويبدو أن ياقوتاً قصد بلاد مدين لا مدينة مدين بعينها. كما في وقتنا الحالي نسمي الجزائر بالمدينة وبالدولة. مما سبق يتبين لنا من كلام ياقوت أن أرض مدين تمتد ما بين المويلح جنوباً إلى العقبة شمالاً. لكن لم يتبين بعد: أموقع مَدْين في البرية أم على الساحل؟ لكن بعد البحث تبين لي أن ياقوتاً أكد في موقع آخر أن مدين على بحر القُلزم بقوله: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها، ولم يكن منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القُلْزُم على ست مراحل من تبوك[٩٠].

ويجب علينا التنبه إلى ما أورده البلدانيون القدماء؛ فقد يكون هناك لبس قد حدث من الناسخ، ثم تناقله المؤرخون عبر العصور، وربما كان فهمنا للمعلومة بشكل خاطئ. فعندما قال الحِمْيَري: «مدين في الطريق من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصر، وهي بين جبال شامخة متكاثفة، وبقرب مدين البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، قد بني على أسها بيت من صخر فيه قناديل

معلقة، وبها كهف شعيب كان يؤوي إليه غنمه. وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة في صخر صم قد حفر في البيوت قبور، وفي تلك القبور عظام بالية كأمثال عظام الإبل، يكون مقدار كل بيت عشرين ذراعاً أو نحوها، ولتلك البيوت روائح خبيثة لا يدخل الداخل فيها حتى يضع يده على أنفه من شدة النتن، يقال: إنهم لما أخذهم عذاب يوم الظلة دخلوا فيه فهلكوا، وبقرب هذه البيوت تلال تراب عظيمة، قيل: إنها كانت مواضعهم[٩١] عامرة فخسف بها»[٩٢].

جانب آخر من حجرة البيت، والأسهم تشير إلى فواصل رأسية

قُلْتُ: يفهم من هذا النص من أول وهلة أن مَدْيَن في الزمن القديم هي (مغائر شُعَيْب) في الوقت الحالي، لكن بعد أن تفحصتُ بعض عباراته تبين لي أن هذا الوصف لا ينطبق على أرض الواقع، فمغائر شُعَيْب ليست بين جبال شامخة متكاثرة صعبة المرتقى، وإنما هي بين تلال ليست شامخة، وسهلة المرتقى. وأما الجبال الشامخة حسب مشاهداتي الميدانية فهي بالقرب من مَقْنَا. كذلك عندما قال الحِمْيري: «وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة»، فإنها - في نظري - تحتمل احتمالين. الأول: قصد بـ (هناك) أي أنها خارج مدينة مدين، لكنها في منطقة مَدْيَن منازل قوم شُعَيْب، ولعله قصد مغائر شُعَيْب، خصوصاً أن الوصف ينطبق عليها. أما الاحتمال الثاني فهو أن الوصف لبيوت أخرى منحوتة في الصخر قرب مدينة مَدْيَن الواقعة على ساحل البحر، لكننا نجهل موقع المدينة مع بيوتها، وما أكثر ما نجهله!. ومما يؤكد أنها على الساحل، وليست في البرية، ما ذكره الحِمْيَري نفسه وفي الصفحة السابقة لهذا الكلام حين قال: «مدين: بالشام على ساحل بحر القلزم»[٩٣].

ثالثاً: تحديد موقع مَدْيَن بالمسافات

عندما يعدد المؤرخون منازل الطريق فإنهم في الأغلب لا يذكرون إلا المنازل الرئيسة، ومتوسط المسافة ما بين كل منزل والذي يليه ٢٥ ميلاً، ولما كانت هذه المسافة شاقة على المسافرين فقد وضعوا بين كل منزل والذي يليه استراحة سموها مُتَعَشَّى[٩٤]. ويبدو لي أنه يطلق أيضاً على المسافة ما بين كل متعشى ومنزل اسم «مَرْحلة»، فإذا كان الميل العربي يعادل (٢ كم تقريباً) حسب قياس جل الباحثين، أما قياس المؤلف فهو ٢,٢كم تقريباً. فمتوسط المسافة ما بين كل منزل والذي يليه ٥٥كم، وما بين المنزلين (مرحلة) ٢٧,٥كم.

ومسافة المنزل تقارب مسافة ليلة واحدة، وقد حدد ياقوت مسيرة الأيام بقوله: «وبين تبالة ومكة اثنان وخمسون فرسخاً نحو مسيرة ثمانية أيام»[٩٥].

أي أن مسافة اليوم الواحد ٦,٥ فراسخ. وبالحساب السابق يعادل الفرسخ الواحد ٨,٤٦كم تقريباً.

ومن القياسات السابقة في المصادر التاريخية، ومن خلال قياسات الباحث، يتبين لنا الآتي: (انظر الجدول)

رابعاً: الموقع الفلكي

يرى الباحث على ضوء القياسات والنصوص القديمة الآتي:

- بعض القياسات والنصوص القليلة تشير إلى أن مدين تسمى في الوقت الحاضر البدْع، لكنّ هناك نصوصاً كثيرة تؤكد أنها على ساحل بحر القُلزم، إلا إذا كان المقصود بعبارة: (على ساحل بحر القُلْزُم)؛ أي: بقرب الساحل، وهذا أمر مستبعد في نظري.
- أفادتنا المصادر بأن «مدين محاذية لتبوك»، فإذا أقمنا خطاً مستقيماً نحو بحر القلزم فإن هذا الخط سيمر بالقرب من مركز مَقْنَا.
- عندما حدد لنا ياقوت موقع مدين بقوله: وهي في الإقليم الثالث طولها إحدى وستون درجة وثلث، وعرضها تسع وعشرون درجة، فهذا يشير إلى أن موقع مدين قريب من موضع مَقْنَا. وللتثبت من الدرجات قام الباحث بمقارنتها مع دائرة عرض تبوك المحاذية لمدين. وقد

أفادنا صاحب كتاب (سير أعلام النبلاء) بمعلومات قيمة حين قال: «ومنها - (أي: شيرَاز) - إلى أصبهان سبعة أيام، وبها خلق لا يحصون، وملكها من تحت يد صاحب العراق أبي سعيد، عرضها تسع وعشرون درجة، وطولها تسع وسبعون درجة هي شرقي مصر ووادي موسى وتبوك، فهنّ على خط واحد»[٩٦]. وقال ياقوت في رسم (شيرَاز): «عرضها تسع وعشرون درجة ونصف[٩٧]».كما نقل لنا صاحب كتاب (معجم البلدان) في رسم مصر قول صاحب الزيج: «عرضها تسع وعشرون درجة وربع». ويضيف ياقوت في موقع آخر: «عرض مصر وكورة الفيوم وما إلى ذلك تسع وعشرون درجة»[٩٨].

قُلْتُ: مما سبق يبين لنا أن تبوكاً ومَدْين مدينتان تقعان على دائرة عرض واحدة، ولو أقمنا خطاً مستقيماً من تبوك باتجاه الغرب لتبين لنا أنها تكاد تكون على دائرة عرض واحدة (٢٤ . ٢٨) مع مَقْنَا. أما الفيوم فهي قريبة من هذه الدائرة (١٩ . ٢٩).

ويبدو أن عين الناسخ زاغت عندما كتب (أصبهان)، وصوابه (أصفهان)، وهي تقع شمال مدينة (شِيراز) المشهورة بصناعة السجاد، وتبعد عنها نحو٣٥٠كم. وبهذا تكون مسافة اليوم الواحد ٥٠كم، وهي قريبة من المسافة التي حققناها. أما لو أقمنا خطاً مستقيماً من (شِيراز) باتجاه الغرب لتبين لنا أنها تكاد تكون على دائرة عرض واحدة (٣٠) من إيلات والقاهرة!. وأما لو أقمنا خطاً مستقيماً يمر بين: مصر، ووادي موسى، وتبوك؛ لتبين لنا أنها تكاد تكون ما بين خطي عرض ٢٨ و ٣٠ حسب قياسنا في الوقت الحالي. فهل يليق بأن نطلق على مثل هذا الوصف أنه (خلط) من علماء مسلمين، أحدهم ولد في سنة ٦٧٣هـ وتوفي ٧٤٨هـ؟!

أما بالنسبة إلى درجة الطول فلا حاجة لنا بها؛ لأن المكان المحدد على الساحل. ومع ذلك للتثبت من الدرجات قام الباحث بمقارنتها مع خط طول قبرص، فقد ذكر بطليموس في كتاب (ملحمة الأرض): «مدينة قبرص طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث عشرة دقيقة»[٩٩]. فخط الطول في الوقت الحالي ٣٥ . ٣٤ يمر

م	من	إلى	المسافة في المصادر	المسافة حسب قياس الباحث بخط مستقيم	عدد المراحل حسب قياس الباحث (المرحلة
١	مَدْيَن	تبوك	ست مراحل	من تبوك إلى البِدْع ١٥٠كم	٥,٥ مراحل
٢	مَدْيَن	تبوك	ست مراحل	من تبوك إلى الساحل ١٧٢كم	٦,٢ مراحل
٣	مصر	مدين	ثماني ليال (نحو من البصرة إلى الكوفة): أي ٣٧٥كم	المسافة من القاهرة إلى البِدْع ٤١٠,٥كم	٤٦,٩كم في اليوم الواحد (أي نحو منزلة) ٨,٨ ليالٍ
٤	مصر	مَدْين	ثماني ليالٍ	المسافة من القاهرة إلى بئر مرشة بين حقل ومَقْنَا ٣٧٠كم	٧,٩ ليالٍ
٥	مَدْيَن	أيلة	خمس مراحل	من أيلة إلى البِدْع ١١٨كم	٤,٣ مراحل
٦	مَدْيَن	أيلة	خمس مراحل	من أيلة إلى بئر مرشة ٧٨كم	٢,٨ مرحلة
٧	مَدْيَن	أيلة	خمس مراحل	من أيلة إلى مَقْنا ١٣٠كم	٤,٧ مراحل
٨	الحِجْر	وادي القرى	مرحلة	من مدائن صالح حتى المابِيّات ٣٥,٦كم (مرورا بالعُلا)	١,٣ مرحلة
٩	الحِجْر	العُلا	نصف يوم أو دونه	من مدائن صالح حتى العُلا ١٨,٧كم	٠,٧ مرحلة (تزيد على نصف المرحلة)
١٠	الحِجْر	تيماء	أربع مراحل	١٠٩كم	أربع مراحل
١١	تيماء	خيبر	أربع مراحل	٢٢٩كم	تسع مراحل

مغائر شُعَيب ليست بين جبال شامخة متكاثرة صعبة المرتقى، وإنما هي بين تلال ليست شامخة، وسهلة المرتقى

بجزيرة قبرص من الجهة الشرقية، وهذا الخط يقع إلى الغرب من مَدْيَن، إذ يمر أيضاً بخليج العقبة. وهذا التوافق بين خطوط الطول ودوائر العرض يدل على أن تحقيقنا للموقع ما هو إلاّ الصواب بعينه.

خامساً: مَقْنَا ليست مَدْيَن

قد يقول قائل: إذا كانت النصوص والقياسات السابقة تشير إلى أن مَدْيَن تقع على ساحل خليج العقبة بالقرب من مكان يسمى في وقتنا الحالي (مَقْنَا)، فلماذا لا يكون موضع مَدْيَن في الزمن القديم هو مكان مَقْنَا في الوقت الحالي، خصوصاً أن المشاهدات الميدانية ترشح هذا المكان، كوجود عين جارية؟!

فالجواب على ذلك أقول: لقد بينت أن مَقْنَا ومَدْين معروفتان منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم: لذا موقع مدين في الجهة الشمالية من مَقْنا تحديداً بين حقل ومَقْنا. ولعل النصوص الآتية تؤكد ذلك:

- في تفسير قوله تعالى: (القرية التي كانت حاضرة البحر)، اختلف المفسرون في تعيين هذه القرية، فقد ذكر ابن كثير ما نصه: «قيل: هي مدين، وهو رواية عن بن عباس، وقال ابن زيد: هي قرية يقال لها: معتا، بين مدين وعينونا»[100].

قُلْتُ: الباحث لا يعرف مكاناً يسمى (معتا)، ويبدو أن الناسخ زاغت عينه عندما كتب (معتا)، وصوابه (مَقْنا)، والله أعلم. أما عَيْنُونا فتكتب أيضاً «عَيْنُونة» و«عَيْنُوني» و«عَيْنُون»، ويظهر أنها بالقرب من الخريبة بين البدع والمويلح.

- قال الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ): جائز أن يكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا: لأن كل ذلك حاضرة البحر[101].

- جاء في (زاد المسير) لابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ) في تفسير قوله تعالى: (واسْألْهُمْ عن القرية التي كانت حاضرة البحر): «في القرية خمسة أقوال. أحدها: أنها أيلة.. والثاني: أنها مَدْيَن.. والثالث: أنها ساحل مدين.. والرابع: أنها طبرية.. والخامس: أنها قرية يقال لها: مقنا، بين مدين وعينونا.. ومعنى (حاضرة البحر): مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه»[102].

- وفي تفسير ابن عبدالسلام (٥٧٧ - ٦٦٠هـ) (حاضِرَةَ البَحْرِ): أيلة، أو ساحل مدين، أو مدين قرية بين أيلة والطور، أو مقنا بين مدين وعينونا[103].

- كما ذكر القرطبي (٦٠٠ - ٦٧١هـ) عن ابن عباس أيضاً أنها مدين بين أيلة والطور. وقال الزهري: طبرية. وقال: قتادة وزيد بن أسلم: هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينون يقال لها: مقناة»[104].

أقول: يبدو أن مقناة تسمى في الوقت الحالي (مَقْنَا).

- وفي الدر المنثور لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ): «مقنا بين مدين وعينونا»[105].

- وفي تفسير الآلوسي (١٢١٧- ١٢٧٠هـ) أنها مقنا بين مدين وعينونا[106].

قُلْتُ: ما ورد آنفاً متواتراً عن المؤرخين والمفسرين منذ زمن الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) حتى زمن الآلوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ) يدل على أن: أَيْلَة، ومَدْيَن، ومَقْنَا، وعينونا، قرى على ساحل خليج العقبة، كما يشير إلى أن مَدْيَن ليست مَقْنا في الوقت الحاضر، ويؤكد أيضاً أن مَدْين تقع شمال مَقْنَا.

ومما سبق نخرج بأن مدين تقع على خليج العقبة محاذية لتبوك بين مَقْنَا وإيلات، وتبعد عن الأخيرة خمس مراحل، مع ملاحظة وجود إشكالات، منها:

- قال البكري: من ساحل البحر إلى مدين[107]. قُلْتُ: هذا يعني أن مدينة مَدْيَن ليست على الساحل.

- ذكر القرطبي أنها مدين بين أيلة والطور[108]. قُلْتُ: بهذا تكون مدينة مَدْين خارج جزيرة العرب.

- وقال الحميري عن بئر مدين: «يحكى أنها بئر مغطاة.. وفيها معايش ضيّقة وتجارات كاسدة، ومن مدين إلى أيلة خمس مراحل»[109]. إذا كانت المسافة من أيلة إلى مَقْنا تعادل ٤,٧ مرحلة: فهذا يشير إلى أن مكان مَدْيَن جنوب مَقْنا.

لكن عندما نطبق تلك الأوصاف على أرض الواقع سيتضح لنا مكان مَدْيَن، ولاسيما أن هناك أوصافاً لمدينة مَدْيَن ذكرها البلدانيون، منها:

- قال ياقوت عن مدين: «محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك.. وهي في الإقليم الثالث، طولها إحدى وستون

درجة وثلث، وعرضها تسع وعشرون درجة»[١١٠].

- ذكر الفاسيُّ: «وبين هذا الموضع - مغاير شعيب - وبين مدين مسيرة نصف يوم، وهي بلدة على ساحل البحر»[١١١].

- أفادنا الإدريسي بقوله: «ثم إلى أيلة، ثم إلى حقل، ثم إلى مدين، ثم إلى الأعراء[١١٢]». كما قال: «إلى الأيلة إلى الحقل إلى مدين إلى الحوراء»[١١٣]. وذكر في موقع آخر: «على ساحل بحر القلزم مدينة مدين، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ويحكى أنها بئر معطلة، وقد عمل عليها بيت، وماء أهلها عين تجري إليهم»[١١٤].

- قال الجزيري: «أرض مدين بشاطئ البحر على يوم من المغارة»[١١٥].

والباحث يعتذر عن تقديم معلومات أدق تفصيلاً بمسح المنطقة على واقع الأرض لصعوبة ذلك؛ لكونها منطقة محظورة (عسكرية). كما أنه مستعد بالقيام بتحقيق وتطبيق النصوص القديمة على واقع الأرض، أو المشاركة والتعاون مع أي جهة إذا هيئت له الأسباب. وأوصاف مَدْيَن واضحة من خلال وصف البلدانيين لا غبار عليها، منها أنه كان لمدينة مدين حصن، وقد أكد ذلك الإدريسي بقوله: «ولمكة مخاليف، وهي الحصون، فمنها بنجد.. وادي القرى ومدين.. والرحبة»[١١٦]. كذلك صنف المقدسي مَدْيَن على أنها مدن الحضر حين قال: «فمن مدن الحضر مكة والطائف والجدة والجحفة والمدينة ووادي القرى وخيبر ومدين وأيلة وتبالة، ومدن أخر صغار، مثل بدر والفرع والمروة وفدك والرحبة»[١١٧].

ومن أشهر من وصف المدينة اليعقوبي الذي قال: «مدين وهي مدينة قديمة عامرة بها العيون الكثيرة، والأنهار المطَّردة العذبة، والأجنة والبساتين والنخيل، وأهلها أخلاط من الناس»[١١٨]. ووصف ياقوت مَدْيَن أيضاً بقوله: «بها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب. قال: ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري»[١١٩]. كذلك بها العمد العظيمة التي وصفها المقريزي حين قال: «بمدينة مَدْيَن إلى الآن آثار عجيبة، وعمد عظيمة»[١٢٠]. كما وصف الفاسيُّ المتوفى سنة ١١٦٣هـ مَدْيَن في رحلته بقوله: «بلدة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة.. وكانت قبل ذلك مدينة فخربت، ويُذْكَر أنَّ أثر البناء باقٍ بها إلى الآن»[١٢١]. كما تؤكد المصادر أن مَدْيَن أكبر من تبوك.

المراجع والهوامش

❖ الصحيح لغوياً أن تكون مغاور شعيب جمع مغارة، مثل مفاوز جمع مفازة، إلا أن الناس درجوا على تسميتها مغاير شعيب أو مغائر. وإن كانت مغائر جائزة على ضعف. (الفيصل).

- سبق للكاتب أن نشر موضوعاً عن (مدين.. بلد نبي الله شعيب) في الفيصل، ع٣٧٠، وهو هنا يتناول بالتفصيل مكان مدين.

١- الذييب، نقوش نبطية قديمة، ص ٢٧.
٢- سلامة، أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات، ص٨٧.
٣- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص ٢٦.
٤- باختصار، وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٩٠.
٥- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص١٦٧.
٦- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص ٣٥.
٧- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٤٣.
٨- سلامة، أهل مدين.. دراسة للخصائص والعلاقات، ص٦٤.
٩- سلامة، أهل مدين.. دراسة للخصائص والعلاقات، ص ٨٩.
١٠- سبق أن ألقيت الضوء على هذا الموضوع في مجلة الفيصل العدد ٣٤٣ المحرم ١٤٢٦هـ. بعنوان: (الحِجْرُ عاصمة الآثار في جزيرة العرب).
١١- تناولتُ هذا الموضوع في حلقة خاصة في صحيفة الجزيرة، بعددها ١١٧٨٤ وتاريخ ٢١ من ذي القعدة ١٤٢٥هـ. تحت عنوان: (آمل من بعض الباحثين المتأخرين التثبت عند إيراد المعلومات: هل (الحِجْر) بيوت لثمود كما أشار القرآن الكريم، أم مقابر للأنباط كما أكدته الدراسات الحديثة؟).
١٢- في ظلال القرآن، (ج٣، ص٢٤٥).
١٣- تفسير الطبري، ج١٢، ص ٢٤٢.
١٤- سلامة، أهل مدين.. دراسة للخصائص والعلاقات، ص٤٨.
١٥- لمزيد من التفصيل انظر: وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٥٢ - ٦٤.
١٦- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٥٧.
١٧- معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٠١.
١٨- البدء والتاريخ، ج٤، ص٥١.
١٩- البداية والنهاية، ج١، ص ١٨٤.
٢٠- باختصار مع التعديل الطفيف، شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال جنوب الجزيرة العربية، ص٢٧.
٢١- الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٩٠.
٢٢- النقل عن البكري.
٢٣- لعل المقصود: وكتب علي بن أبو طالب.
٢٤- الحِمْيَري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ج١،ص٥٢٦).
٢٥- فتوح البلدان، ج١، ص٧١.
٢٦- سلامة، أهل مدين.. دراسة للخصائص والعلاقات، ص١٠٠.
٢٧- معجم ما استعجم، ج١، ص ٢١٥- ٢١٦.
٢٨- تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٧٥.
٢٩- معجم البلدان، ج١، ص٢٩١.
٣٠- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص٩٠.
٣١- باختصار مع التعديل الطفيف، شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص٢٧.
٣٢- الحربي، المناسك، ص ٦٤٩ - ٦٥١.
٣٣- الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص ١٢٤٦.
٣٤- د. عبدالله نصيف، صحيفة الرياض، ٢٥ شوال ١٤١٧هـ، العدد ١٠٤٨٠.
٣٥- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٢٦.
٣٦- بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٢٥.

٣٧- بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٢٦.
٣٨- البكري (مخ)، ص٧٧.
٣٩- البكري: (متكاثرة).
٤٠- الحِمْيري: الروض المعطار في خبر الأقطار، (ج١، ص٥٢٦). وانظر: ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص٣٨٩.
٤١- البِلادي: مُعْجَم مَعَالم الحجاز، ج٨، ص٦٨.
٤٢- البِلادي: مُعْجَم مَعَالِم الحِجاز، ج٨، ص٦٨.
٤٣- البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٩٣.
٤٤- وكالة الآثار والمتاحف، البِدع: تاريخها وآثارها، ص١٧.
٤٥- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٢٤.
٤٦- وكالة الآثار والمتاحف، البِدع: تاريخها وآثارها، ص ٣٩ - ٤٠.
٤٧- تفسير القرطبي، ج٧، ص ٣٠٥.
٤٨- تفسير الطبري، ج١، ص٣٣٠.
٤٩- تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٢٥٨.
٥٠- معجم البلدان، ج٢ ص٩٨- ٩٩.
٥١- لسان العرب، ج٤، ص٥٠٨.
٥٢- لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٥، ١٩.
٥٣- معجم البلدان، ج٤، ص٤٧.
٥٤- رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨١ - ٨٢.
٥٥- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٣٩ - ٤٠.
٥٦- وكالة الآثار والمتاحف، البدع: تاريخها وآثارها، ص٣٩ - ٤٠.
٥٧- صحيح ابن حبان، ج١، ص٢٤٣.
٥٨- فتح الباري، ج٦، ص٤٤٢.
٥٩- المعجم الكبير، ج٧، ص٢٨٢.
٦٠- مسند البزار، ج٨، ص٤١٠.
٦١- الأحاديث المختارة، ج١٠، ص٣٨٦.
٦٢- تفسير الأعقم (زيدي)، (ج١، ص٤٠٣).
٦٣- الأنس الجليل، ج١، ص٨٠.
٦٤- تفسير الطبري، ج٢٠، ص٥٤.
٦٥- تاريخ الطبري، ج١، ص ٢٣٧.
٦٦- يبدو أن عين الناسخ زاغت عندما كتب «حفل»، فأبدل القاف فاء، وصوابه: حقل.
٦٧- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (ج١، ص٣١٩).
٦٨- صبح الأعشى، (ج٥، ص٩٧٤).
٦٩- مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٦١.
٧٠- مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٤٧.
٧١- سلامة، أهل مدين.. دراسة للخصائص والعلاقات، ص٤٤.
٧٢- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٨.
٧٣- نزهة المشتاق، ص١١٢، وابن الوردي، ص٢٤، وصبح الأعشى، ج٣، ص١٨٨. وانظر، ياقوت، (مدين)، وفي رحلة الناصري، ص٢٠٥، نقل عن الروض.
٧٤- سورة القصص، الآية: ٢٣.
٧٥- ع ص: معظمة.
٧٦- الحِمْيري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ج١، ص٥٢٥). وانظر: ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص٣٨٨.
٧٧- لسان العرب، ج١١، ص٣٢٨.
٧٨- معجم البلدان، ج٥، ص٧٧ - ٧٨.
٧٩- المحرر الوجيز ، (ج٣، ص ١١٢)
٨٠- الفيروزابادي، المغانم المُطَابة في مَعَالم طَابَة، ص٤٠١.
٨١-الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.
٨٢-الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.
٨٣-الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٤٦.
٨٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٠.
٨٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٤٥.
٨٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ٣٤٦.
٨٧- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٥٠ - ٣٥١.
٨٨- معجم البلدان، ج٥، ص١٣٩.
٨٩- معجم البلدان، ج٤، ص١٦٩.
٩٠- معجم البلدان: ج٢، ص١٤.
٩١- البكري: مواضع.
٩٢- الحِمْيري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ج١، ص٥٢٦).
٩٣- الحِمْيري، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ج١، ص٥٢٥).
٩٤- الشايع، نظرات في معاجم البلدان، الكتاب الثالث، ص٢٥.
٩٥- معجم البلدان، (ج ١، ص٣٩٨).
٩٦- سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٦٠.
٩٧- معجم البلدان، (ج٣، ص ٧٣)
٩٨- معجم البلدان، (ج، ص١١٢).
٩٩- معجم البلدان، ج٤، ص ٣٠٥.
١٠٠- تفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٥٨.
١٠١- تفسير الطبري، ج٩، ص٩١.
١٠٢- ابن الجوزي، زاد المسير، (ج٣، ص٤٦).
١٠٣- تفسير ابن عبدالسلام، (ج٢، ص١٧٨).
١٠٤- تفسير القرطبي، ج٧، ص ٣٠٥.
١٠٥- الدر المنثور، (ج، ص ٣٥١).
١٠٦- تفسير الآلوسي، (ج٦، ص٤٠٣).
١٠٧- معجم ما استعجم، ج١، ص ٢١٥ - ٢١٦.
١٠٨- تفسير القرطبي، ج٧، ص ٣٠٥.
١٠٩- ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص٣٨٨.
١١٠- معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٧ - ٧٨.
١١١- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.
١١٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ٣٤٥.
١١٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٤٦.
١١٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٥٠ - ٣٥١.
١١٥- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص ١٢٠٩.
١١٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ١٤٥.
١١٧- البدء والتاريخ، ج٤، ص٧٠.
١١٨- وكالة الآثار والمتاحف، البِدع: تاريخها وآثارها، ص٢١.
١١٩- معجم البلدان، ج:٥ ص٧٧.
١٢٠- الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.
١٢١- الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثالث، ص١٢٠٩.

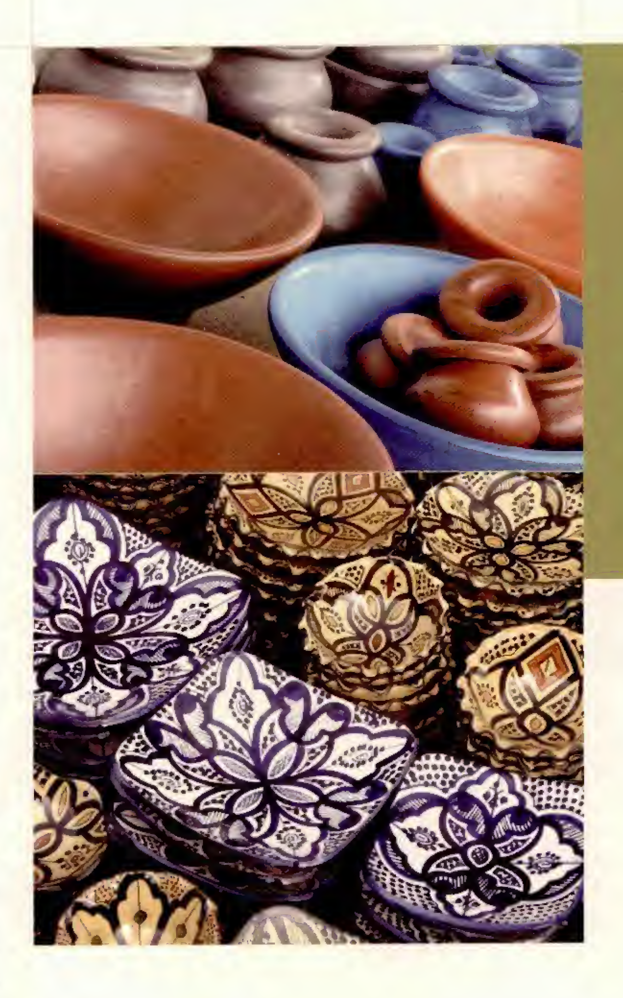


فن الخزف بآسفي

أحمد الفطناسي

أسفي - المغرب

من خلال الورش العملية المفتوحة أعاد الشباب اكتشاف فن التزويق والزخرفة الإسلامية القديمة عبر اكتسابهم تقنيات تطويع البرنيق الممعدن



التشكيلات الطينية

أسهم علم الحفريات في الكشف عن تحف خزفية تؤرخ لمرحلة قديمة، إذ ساعدت هذه التحف على معرفة أساليب عيش حضارات قديمة، وأمكنت الدارس لها من تحليل بنياتها المجتمعية.

وعندما نتحدث عن الفخار، فإننا نشير إلى نشاط إنساني يمتزج فيه الحس الإبداعي بالحرفي، ويكون آنذاك الاختيار هو تطويع الطين لصنع تشكيلات فخارية عن طريق تفاعله مع النار. ولأن المادة والنار هما دعامتان لبداية الفعل الإنساني لاكتشاف العالم، فإن تفاعل الطين مع النار ساهم في إخراج تحف رائعة وأشكال خشنة وظفت في اليومي.

يعدّ الطين مادة أساسية لصنع الفخار أو الخزف، إذ لا فرق بين الكلمتين، وإن تمت الإشارة إلى أن كلمة فخار خاصة بتسمية التشكيلات الطينية غير المزججة، أما كلمة خزف فتنعت بها الأواني الطينية المزججة، علماً أن الأول يحتفظ باسمه الأصلي بعد الصنع والشيّ بالأفران. أما الثاني فيتلبس باسمه لما أضيف له بعد ذلك من تزليج.

وقد عرف العرب بتصنيفهم مادة الطين حسب طبيعتها وشكلها ولونها، فنجد مثلاً جرداً لأسماء تداولتها هذه الحضارات على اختلاف انتمائها المكاني والتاريخي، إذ نجد أسماء من قبيل: الصلصال، والطفال، والغضار، والغضرم.. وهكذا يمكن للبناني أن يتخذ اسما للمادة نفسها التي يتداولها المغربي، ويبقى الاختلاف نابعاً من التداول الشعبي الذي أفرز لنا غياباً لتوحيد الاسم المفرد للمادة نفسها؛ مما يخلق لبساً عندما نأتي لقراءة كيفية حضور هذا النشاط الإنساني داخل بنية مجتمعية تحديداً.

وقد ساهم الدرس العلمي في جعلنا أكثر قدرة على استيعاب هذا الفن، الذي تحول إلى صناعة قائمة الذات، فالعلماء عرّفوا الطين بأنه حبيبة صغيرة جداً تتكون من عناصر معدنية أهمها سيليكات الألمونيوم والحديد. وحسب التصنيف الجيولوجي فهناك الطين الرسوبي، والطين الثانوي. ونتيجة لظروف تكوّن الطين وطبيعته فقد تعددت أنواعه، لكن الأنواع المعنية أساساً في صناعة الخزف تظل هي الطين الحجري، والطين الترابي، والطين الكاؤولين.

وتعدّ عملية تشكيل الطين وتجفيفه، ثم شيّه لصنع آنية فخارية فناً خالصاً، بل إنه أقدم الفنون التي ميزت النشاط الإنساني وقد عرفت عبر التاريخ تنويعات أفرزتها طبيعة الانفتاح على الثقافات الأخرى، لكن التشكيلات الهندسية عرفت ثباتاً



أنامل تبدع في تشكيل الطين



العددان ٣٩١-٣٩٢ / المحرم - صفر ١٤٣٠هـ

تعدّ عملية تشكيل الطين وتجفيفه ثم شيّه لصنع آنية فخارية فناً خالصاً، بل إنه أقدم الفنون التي ميزت النشاط الإنساني

ملموساً؛ إذ إن جل تشكيلات الأواني الخزفية المستعملة اليوم في البيوت أو المزهريات المعروضة بالمتاحف حافظت على الوحدة الهندسية نفسها التي وظفت كأشكال في العصور الغابرة، مع استعمال المادة نفسها أي الطين، كمادة أولية أساساً.

المزهريات الجنائزية

حين نتحدث عن منطقة شمال إفريقية فإننا نشير إلى الأسلوب نفسه الموظف في الفخار مقابل مجتمعات البحر الأبيض المتوسط، هذه المجتمعات المتلاقحة عبر تاريخها منذ العصر الحجري المصقول Neolithique. ومن خلال رصدنا خريطة المدافن لعصور ما قبل التاريخ نكتشف أنها وجدت على السواحل المتوسطية والأطلسية. أما الأثاث الجنائزي بهذه المقابر فتكون أساساً من أوانٍ فخارية، مما يساعدنا في معرفة مجازات حضور هذا النشاط الإنساني في الصرح الحضاري لهذه المجتمعات.

ويثيرنا وجود هذه المقابر المؤرخة لعصور ما قبل التاريخ في مناطق فلاحية غير مسقية. أما الأواني الشبيهة بما نستعمله اليوم فجلها خشنة بسيطة التشكيل، ويحمل بعضها زخارف وألواناً، ويمكن أن نمثل على ذلك بالمزهريات الجنائزية المزخرفة التي عثر عليها في المقابر الأمازيغية القديمة في ضواحي مدينة (قسطنطينية) الجزائرية التي تؤرخ لمرحلة ما بين ٢٥٠ و ١١٠ قبل الميلاد.

أما مزهريات تيديس Tiddis، والمكتشفة في المنطقة نفسها، فتحمل زخرفة تمتح من الطبيعة، حيث تكشف الفضاءات المعدة

مع أنه ترسخ أزرق آسفي في الصناعة الفخارية إلا أن عدداً من التقسيمات والأشكال الزخرفية انمحت بفعل الظروف

الدقة تميز فنيي آسفي من الخزافين



بين المثلثات على الشمس والطيور، ومن التربة تنبعث نخلات ونباتات على شكل رسم اختزالي. وبالعودة إلى هذه المثلثات يمكننا كشف معانيها في علاقة برمز الجبل أو الأرض قاعدة على حزام المقدمة هناك دعامة وإضافة التنويعات الزخرفية نكتشف دعامات الخرق الهندسي في توظيف الأسس الأربعة للطبيعة: الماء، والتراب، والنار، والهواء. بتفاعل مع محيط عالم النباتات والحيوان كشكل متفرع من عالم بصري يبرز علاقة العين بمحيطها وتفاعلها معها، وإضافة إلى هذه التنويعات الزخرفية تستوقفنا الرغبة في جعل هذه المزهريات الجنائزية تقوم بوظيفة استعارية بلاغية لعلها الرغبة عند مبدعيها في أن يكون الميت مرفوقاً بصورة العالم حواليه.

أما جنوب مضيق جبل طارق، وعلى الساحل الأطلنتيكي، وبالضبط في منطقة أشكار Achakar قرب مدينة طنجة، فقد عثر في السنوات الممتدة بين ١٩٢٢ و ١٩٥٧م في كل من المغارة العالية، ثم مغارة هرقل الصيفية على أوانٍ تعود إلى العصر الحجري المصقول، وهي تحمل في تشكيلاتها الزخرفية تقنيات النقش الصدفوي، وذلك من خلال توظيف صدف محاري لتزيين هذه الأواني.

خزف آسفي

علمياً، لا يمكننا تدقيق حقيقة ظهور صناعة الفخار بمدينة آسفي، ولا نجد الدلائل التاريخية الكفيلة برصد تاريخي لوقائع بعينها على كيفية نشوء هذا الفن، ونتفهم هذا الأمر بحكم أن البحث الأركيولوجي للمنطقة لا يزال يقدم لنا حقائق تاريخية إلى اليوم عن المدينة ذاتها. فهل صناعة الفخار بآسفي هي جزء من هذا التاريخ المطمور لآسفي؟

في جولة في القرى المجاورة للمدينة نكتشف في أسواقها أواني فخارية تحمل أسماء قرى صنعت بها، ومن بين هذه القرى المختصة بصناعة الفخار غير المزجج قرية (لمعاشات)، التي تحتوي على أفران نحتت في الصخر؛ مما يدفعنا إلى البحث في تقاطع هذا الحضور باكتشاف مدينة تازة عام (١٩١٧م)، حين عثر على أفران ترجع إلى عصور مختلفة وقد نحتت كلها في الصخر. وتشابه هذا الحضور كفيل بتأكيد قدم هذا الفن بالوجود في المنطقة، زد على ذلك أن مدينة آسفي معروفة بتربتها الغنية بالطين، وبما أن

لجودة الطين عوامل أساسية في صنع الفخار، ولأن الحاجة كانت دائمة لدى الساكنة لتخزين المواد الغذائية، ولأن المدينة تشرف على البحر الأطلسي، وكانت - ولا تزال - تتوفر على ميناء، فإنها دلائل كفيلة بجعلنا نؤكد تاريخية حضور هذا النشاط الإنساني في المنطقة، خصوصاً أن بعض الحكايات الشفوية أكدت أن تجار منطقة سوس (جنوب مدينة الصويرة) كانوا يستعملون فخار آسفي لتخزين بضائعهم ونقلها. أما طين آسفي، ونحن هنا نسميه بهذه التسمية بسبب خصوصيته، فهو طين من نوع خالص، إذ يحتوي على مادة أوكسيد الحديد؛ مما يجعل منه مادة لزجة قابلة للتمطيط، ولأنه لين فعند شَيِّه يُصبح صلباً؛ مما يمنع أيّ تسرب للسوائل. ويكفي التذكير بالقطع البسيطة والخشنة المصنوعة من الطين، كالجرات التي تستعمل لحفظ الماء أو الحليب، أو لتخزين بعض المواد الغذائية (السمن، والزيتون).

هذه الأواني أكدت مقولة خصوصية المادة الأولية المستعملة؛ مما يزكي جودتها، وقد قام الخزفيون عند صنعهم الأواني المنزلية المستعملة للطهي بتطويع تقنيات اشتغالهم عبر صنع أوانٍ مزججة بالبرنيق، وذلك لأخذ الكوارتز وحرقه وطحنه وتخليطه مع الرصاص للحصول على أوانٍ مزججة مرصصة بعناية فائقة. وهنا أمكن للصناع أن يستخرجوا اللونين الأحمر والأخضر عبر توظيفهم أوكسيد المانغنيز وأوكسيد النحاس.

أزرق آسفي

في عام١٨٥٧م دعا أمين الفخار بآسفي الحاج المعلم عبدالسلام اللانكاسي من مدينة فاس إلى المجيء إلى المدينة. دعوة أحد كبار المعلمين الفاسيين نبعت من فكرة محددة، هي تمكين خزفيي آسفي من تعلّم تشكيلات وتقنيات جديدة. وقد استقر (المعلم) الحاج عبدالسلام اللانكاسي بتل الفخار. ومن ورشته كانت تنتج قطع فخارية ذات طابع فني مستوحى من الفن الإسباني المورسكي، ومن الفن العربي الإسلامي، ولعله الطابع الذي يميز هذا الفن بمدينة فاس العلمية. كما ساهمت بعض العائلات الأندلسية في التأثير في هذا الفن، وقد عمل الحاج اللانكاسي على تكوين بعض الحرفيين/ التلاميذ، نذكر منهم: سالم بكور، وقدور اليونسي، ولمزاري العيساوي. وقدكان الحرفي الفنان وراء اكتشاف النقش بالأزرق، والنقش المتعدد الألوان.

وساهم الرحيل المفاجئ للحاج اللانكاسي إلى مدينة فاس، إضافة إلى عوامل جيو - سياسية حينها، في التأثير السلبي في تطور هذا الفن بمدينة آسفي، بحكم أن الحرفيين استحال عليهم التزود بأوكسيد الحديد والكروم والمنغنيز من تافيلالت وأسواق فاس، مما دفعهم إلى استعمال اللون الأزرق وحده المستخرج من الكوبالط الذي كان يستجلب من بريطانيا.

ومع أنه ترسخ أزرق آسفي في الصناعة الفخارية إلا أن عدداً من التقسيمات والأشكال الزخرفية انمحت بفعل الظروف السالفة الذكر، نذكر هنا الزخرفة المتعددة الألوان القديمة منها والتقليدية، والرمزية الهندسية والأمازيغية، والبرنيق المعدن.

إن مرحلة الفراغ والكساد التي مسّت فن الزخرف، أو ما وسمناه بفن الطين والنار، أثرت بشكل جلي في هذا الفن وألقه هذا على رغم جهود بعض الحرفيين، نذكر منهم «المعلم» أحمد المداسني الذي وضع إمكانياته رهن إشارة قنصل إسبانيا بالمدينة؛ كي يعيد إلى هذا الفن ألقه عبر تشكيل أشكال باذخة، لكن بقيت أقل صنعةً موازنة بسابقيها.

عموماً، امتدت مرحلة الكساد إلى بدايات القرن العشرين، إذ بعد هذه المرحلة بدأت تتضح معالم نهوض هذا الفن بالمدينة بفعل تضافر عدد من العوامل، لعل أهمها تدخل القرار السياسي في هذه المرحلة. فبعد الاهتمام الخاص الذي أبدته مصلحة الفنون التقليدية، التابعة للحماية الفرنسية حينها بآسفي وبفن الخزف، وبفعل تدخل مدير الصناعة الإنتاجية لمدينة سيفر الفرنسية Sevres المشهورة بخزفها الذي يحمل اسم المدينة، تمت في عام ١٩١٨م دعوة الفنان بوجمعة العملي «الفرنسي الجنسية الجزائري الأصل» الحامل لشهادة التكوين لمدرسة الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة إلى آسفي.

بعض الحكايات الشفوية أكدت أن تجار منطقة سوس (جنوب مدينة الصويرة) كانوا يستعملون فخار آسفي لتخزين بضائعهم ونقلها

ألوان من الإبداع الفني في انتظار متذوقيها





أن هذه الغربة اصطدمت بعقليات أخرى لشيوخ معلمي الخزف بالمدينة، فما لبث هذا الفنان أن أقام ورش تكوين لحرفيين شباب بهضبة «الرباط» قرب ضريح «سيدي عبدالرحام» وضريح «مولاي الواڤي»، هؤلاء الشباب الذين اكتشفوا في فن الخزف جمالية بساطة التشكيل ورونقه. التشكيلات الكلاسيكية وألقها، علم مرونق بألق الألوان، إضافة إلى تقنيات الزخرفة.

ومن خلال هذه الورش العملية المفتوحة أعاد هؤلاء الشباب اكتشاف فن التزويق والزخرفة الإسلامية القديمة عبر اكتسابهم تقنيات تطويع البرنيق المعدن. وقد شكلت الأربعينيات من القرن الماضي مرحلة استقلال هؤلاء «المعلمين» لورشهم الخاصة، وقعّدوا - بشكل نهائي - لفن الفخار بآسفي، ولفخار آسفي، وهو ما حول المدينة إلى مركز إشعاعي. وأمسى المعلم بنبراهيم وصالح بن جلون وإدريس أذ بيلة والتهامي السرغيني ورثة الفن وحاملي مشعل تألقه.



جمالية من الطين والنار

عرف الفخار عبر تاريخه في منطقة شمال إفريقية اختياره التفاعلي مع عدد من الحضارات التي كان المحيط المتوسطي

أشكال وزخارف فنية رائعة تعكس عراقة الإبداع



فضاءً لوجودها أو عبورها، وقد أكسبته هذه العملية تلاقحاً جمالياً أثر في العمق في جميع آليات تشكيله ومكوناته. وقد أفرز لنا هذا التحول تحولاً في طبيعة هذا النشاط الإنساني، إذ أمسى أكثر تمثلاً لحياة الروح والباطن أكثر من تمثله محاكاة الحياة، وترجمتها حرفياً، وقدم إلينا عدد من التحف الخزفية عمقاً فلسفياً خاصاً بحكم تجرّد الفنان من محيطه الضيق، ومحاولته إكساب المادة عمق روحه ومشاعره، وهذا ما أثر في شكل الزخرفة «التزويقات» الخارجية، إذ أمسى للرمز خاصية وسط هذا الاشتغال؛ مما يعبّر عن لغة بصرية مشبعة بقيم الجمال وقدم الإطار التجريدي المكثف الذي تتفاعل فيه العناصر والوحدات الزخرفية المستوحاة من التقاليد والمعتقدات، حتى من الحكايات الشعبية والرموز الطوطمية؛ لتشكيل خطاب زخرفي يستمد هويته الجمالية والتعبيرية من هذه المرجعيات جميعها.

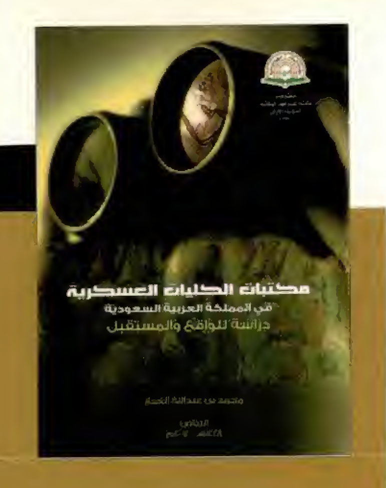
وعندما نشير إلى «خزف آسفي» فإننا نؤكد تقاطع هذا التفاعل مع تجربته هو أيضاً، ربما لأن مادة الطين الحاملة

لأوكسيد الحديد تزيده خصوصية، وكذا انفتاح هذا الفن وعدم انغلاقه على مرجعيات حرفية أخرى، سواء مورسكية، عربية إسلامية، أمازيغية، أم أكاديمية، جعلته قابلاً أن يصقل مهاراته الفنية، وأن يغتني ويتجانس.

ويمكن الحديث عن لغة الخزف بآسفي من خلال تعدده وتنوع هذا الفن الأصيل؛ فهو إنتاج يدوي يعكس لغته البصرية الخاصة، سواء أكانت ذات أصول جمالية عربية إسلامية أم منتمية إلى هندسة أخرى، ويكفي التدليل على هذا المعطى بجرد بعض التعبيرات المتداولة لهذه الزخرفة «التزويق»: العظم الزيتون، التوريق، التشجير، قطع ومقطوع، التقويسات، أقواس، بيوت، جرميل، كانبة، الدرج، عين وحاجب، عش النحل، عين الثور، العقرب، التبوع، حجاب بوفرطاطو، مشيط، الريفي، الزياني، الحيدوس، اللويزا.

وهذا الجرد يقدم لنا حقلاً معجمياً حرفياً لفن الخزف، ويمكّننا من قراءة بعض الرموز الموظفة، فمثلاً المثلث الذي نجده في زخرفة «الكانبة» والشبيه بزخرفة الفخار الجنائزي، هذا الرمز الهندسي يشير إلى مقولتي التعالي والصعود. أما «جناح بوفارطاطو» فيحيل إلى الحركة والحياة. وهكذا دواليك تكشف هذه الآليات الموظفة عن غنى بصري مشبع بالترميز. ومن بين الزواقات الحاضرة بقوة في خزف آسفي تلك الحاملة لاسم اللويزا، وهي في الأصل مركب من اسم مصغر لحبة فاكهة واسم إحدى القطع الذهبية. والمتمعن في هذا التشكيل يجد أنه مركب القاعدة بخطين متعامدين إذا أتممت رأسهما تجد أنهما يلتقيان في الوسط، حيث يسبحان يمثلان حرف «التاء» في اللغة الأمازيغية، إنه رسم مختزل للنجمة المنارة التي تساعد الإنسان التائه.

ويمكننا استخلاص عدد من الدلالات؛ كالرمز إلى الجهات الأربعة، العناصر الكونية الأربعة؛ إذ إن الزواقة توحي بأنها نجمة ثمانية. وفي الأخير نشير إلى أن الشكل كما هو مقدم في سطحه يشير إلى قلب الوردة. ويمكننا أن نتابع هذا الاستقراء اللانهائي لباقي الترميزات الموظفة كزواقة القواس، التي تشير في خطيها المتوازيين إلى حرف اللام الأمازيغي في قيمته الرمزية الممثلة للخير والشر والوجود واللاوجود. وهكذا تتعدد القراءات لكي يبقى خزف آسفي أحد أهم الفنون التي عايشت التاريخ، وظلت تساير اتجاه الحفاظ على ذاكرته حية ومتقدة.



العمار، محمد عبدالله/ مكتبات الكليات العسكرية في المملكة العربية السعودية: دراسة للواقع والمستقبل.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٨هـ، ٤٨١ص (السلسلة الأولى؛ ٣٣).

يسعى المؤلف في هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف، منها: إبراز أهمية المكتبات التابعة للكليات العسكرية في المملكة العربية السعودية كمكتبات أكاديمية متخصصة في فروع معينة من الفروع المعرفية، وتخدم فئة خاصة من الباحثين والأكاديميين، وإبراز دورها في تطوير العمل في المؤسسات التي تنتمي إليها.

وتناولت الدراسة تطوير مكتبات الكليات العسكرية بمختلف تخصصاتها (الحربية، والجوية، والبحرية، والأمنية) في المملكة العربية السعودية، وذلك عن طريق تعرف واقعها وتحليله، وتعرّف السياسات المتبعة في إدارة أنشطتها، وخدماتها، وإجراءاتها التنفيذية. وتغطي الدراسة مكتبات الكليات العسكرية التابعة للمؤسسات العسكرية والأمنية في المملكة العربية السعودية، المتمثلة في: مكتبة كلية الملك عبدالعزيز الحربية، ومكتبة كلية الملك فيصل الجوية، ومكتبة كلية الملك فهد البحرية، ومكتبة كلية الملك عبدالله للدفاع الجوي، ومكتبة كلية الملك خالد العسكرية، ومكتبة كلية الملك فهد الأمنية.

وقد تمت تغطية المكتبات موضع الدراسة تغطية شاملة منذ إنشائها حتى تاريخ الانتهاء من جمع البيانات الميدانية في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٢م.

واستعرض الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال الدراسة، تليها التوصيات التي استقاها من النتائج التي توصل إليها.

وفاة الصحفي السعودي طلعت وفا



ودّع الوسط الصحفي والإعلامي السعودي في الخامس من يناير/ كانون الثاني من هذا العام الصحفي السعودي طلعت وفا بعد رحلة طويلة مع مرض السرطان لم تمنعه من ممارسة مهنتة الأثيرة الصحافة، التي كان أحد أعمدتها على مدى ثلاثة عقود، وقد ظل يمارس مهنته حتى غيبه الموت، إذ كان يحضر إلى صحيفة (الرياض) في أيامه الأخيرة على كرسي متحرك. وكان الراحل من الصحفيين السعوديين الذين يتمتعون بأخلاق ومهنية عاليتين، إضافة إلى إنتاجه اللافت، واهتمامه بالعناصر الصحفية الشابة الواعدة.

وكان للراحل علاقات قوية مع المسؤولين داخل بلاده وخارجها. كما ارتبط بعلاقات صداقة واسعة في الوسط الصحفي المحلي والعربي والدولي بسبب أنشطته الإعلامية الواسعة، ومشاركاته في كثير من المؤتمرات والاجتماعات المحلية والإقليمية والدولية، وحصل على عدد من الميداليات والدروع والشهادات التقديرية من قبل جهات محلية ودولية؛ تقديراً لجهوده الصحفية المتميزة خلال عمله الصحفي. وكان الراحل عضواً في مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية لعدة دورات، وهو عضو مؤسس في هذه المؤسسة. إضافة إلى عضويته في هيئة الصحفيين السعوديين، وجمعية الإعلام والاتصال السعودية.

ولد الراحل في مكة المكرمة عام ١٩٥٤م، وتلقى تعليمه الأول بها، وحصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من جامعة الملك سعود في الرياض عام ١٩٨٠م، ثم الماجستير في الاتصال السياسي من الجامعة الأمريكية. وعمل محرراً سياسياً متفرغاً عام ١٩٧٩م، ثم أصبح مديراً لمكتب صحيفة (الرياض) في واشنطن عام ١٩٨٩م، كما تولى في العام ذاته الإشراف على تحرير صحيفة (الرياض ديلي) الناطقة بالإنجليزية، ثم بعد ٣ سنوات من هذا التاريخ تم تعيينه رئيساً لتحريرها، واستمر في العمل بها حتى توقفت عن الصدور عام ٢٠٠٣م، ليعمل بعدها مستشاراً لرئيس تحرير صحيفة (الرياض) حتى وفاته.

اكتشاف تابوت حجري روماني في درعا السورية

عثر فريق بحثي متخصص في دائرة آثار مدينة درعا السورية على تابوت حجري آخر مزين بنقوش بشرية وحيوانية ونباتية يعود إلى الحقبة الرومانية، وذلك خلال أعمال تنقيب طارئة نفذتها مؤخراً في مدينة درعا القديمة.

وهذا التابوت هو الثاني الذي يتم العثور عليه في أقل من شهرين في مدينة درعا القديمة، والخامس في سلسلة التوابيت التي تم العثور عليها في المحافظة. ويبلغ طول التابوت نحو ٢,١٤ م، وارتفاعه ٧٠سم، وعرضه ٧٠ سم، وعمق صندوق الدفن ٤٤ سم، ويتكون من قطعتين: صندوق الدفن، والغطاء. وقد نحت الغطاء من الحجر البازلتي، وهو هرمي الشكل، وخالٍ من التزيينات والنقوش، وقد عثر عليه بالقرب من الصندوق منفصلاً عنه؛ مما يدل على أن التابوت سبق فتحه من قبل. وعثر في التابوت على هيكل عظمي مسجّى على ظهره، وحالة العظام سيئة، وعثر بالقرب من منطقة الرأس على فردة حلقة ذهبية، كانت على ما يبدو تتدلى من سلسلة ذهبية معلقة في أذن المتوفى. وحوى جانبا التابوت تزيينات بشرية ونباتية وحيوانية، فنقش على أحد الجانبين رأسا أسد، ورأس ثور، وعلى الجانب الآخر وجهان بشريان أنثويان، وزهرة تتكون من أربعة فصوص.

الترجمة في المؤتمر السنوي لاتحاد الكتاب المصريين

عقد اتحاد الكتاب المصريين مؤخراً مؤتمره السنوي الدولي تحت عنوان: «الترجمة وحوار الثقافات»، واشتمل المؤتمر على جلسات بحثية وحوارية حول واقع الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية ومشكلاتها، إلى جانب قضايا النشر والتوزيع وأدب الأطفال، وذلك بمشاركة عدد من الأدباء والكتاب والشعراء والأكاديميين العرب والأجانب، بالإضافة إلى ممثلين من اتحادات الكتاب من سورية، والجزائر، وروسيا، والصين، وإيطاليا، وعدد من دور النشر.

ناقش المشاركون أكثر من ١٦ بحثاً، فحذر رئيس المؤتمر ورئيس اتحاد كتاب مصر محمد سلماوي من الواقع المتدهور للترجمة في الدول العربية بشكل كبير، مشيراً إلى أهميتها لسد الفجوة بين اللغة العربية واللغات الأخرى. وأوضح الأمين العام للمؤتمر الأستاذ أحمد سويلم أن المؤتمر هدف إلى رصد معوقات الترجمة، ومن أهمها قضية اختيار النصوص المناسبة، ومن ينشرها، وكم تبلغ تكاليفها، إلى جانب أهمية وجود المترجم المؤهَّل.

وطالبت خليدة تومي - ضيفة شرف المؤتمر وزيرة الثقافة الجزائرية - الحكومات العربية بتخصيص ميزانيات للترجمة. وحذر أمين اتحاد كتاب روسيا أوليج بافيكين من تراجع إقبال الطلاب الروس على تعلم الأدب العربي؛ بسبب ضيق فرص العمل به، ونوّه بمشروع الترجمة المشترك مع اتحاد الكتاب العرب، الذي بدأ منذ ثلاث سنوات، وأنجز في إطاره ترجمة ٢٠ رواية.

وأعرب أستاذ الأدب العبري الحديث محمد أبو غدير عن أسفه لكون خمسة ملايين يهودي في الكيان الصهيوني يترجمون ٩٩ مرة ضعف ما يترجمه العرب. وأكد الدكتور حامد أبو أحمد أهمية أن يترك الخيار لأهل اللغات الأخرى، ليترجموا ما يجذبهم في لغتنا من دون وصاية.

وأوضح د. عبد الغفار مكاوي أهمية تأسيس اتحاد للمترجمين العرب بدعم من جامعة الدول العربية ورجال الأعمال؛ اقتداءً بالتجربة الصينية الواعية، مع رصد جوائز عربية عالمية للكتب المترجمة.

وكرم المؤتمر نخبة من المبدعين العرب ممن حصلوا على جوائز عالمية.

بوليفيا تنتصر على الأمية

أعلن الرئيس البوليفي إيفو موراليس في حفل أقيم مؤخراً بمدينة كوتشابامبا نجاح بلاده في القضاء على الأمية بالتعاون مع فنزويلا وكوبا اللتين تخططان لتحقيق الهدف نفسه في باراجواي ونيكاراجوا. وقال إيفو: «المهمة قد تم إنجازها أمام الشعب البوليفي والعالم»، مؤكداً أن «استئصال الأمية» كان من بين أهدافه منذ ترشيحه لرئاسة البلاد.

وقال رئيس باراجواي فرناندو لوجو في أثناء الحفل: إن بوليفيا بذلك تكون الدولة الثالثة في أمريكا اللاتينية، بعد كوبا وفنزويلا، في تحقيق أحد أهداف الألفية لمنظمة الأمم المتحدة. وقد حققت بوليفيا هذا الهدف باستخدام البرنامج التعليمي الكوبي «نعم يمكنني»، وبدعم مالي من حكومة الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز، وبلغ من تم محو أميتهم ما يقرب من ٨٢٠ ألف شخص في ٢٣ شهراً، وهو ما يمثل نسبة ١٠٪ من سكانها.

وساهمت كوبا في برنامج محو الأمية بمنح ثلاثة آلاف وحدة من أجهزة التلفاز والتسجيل، بالإضافة إلى ثمانية آلاف جهاز مولد للكهرباء لتنفيذ البرنامج في المناطق الريفية.

وكان إحصاء حكومي صدر في عام ٢٠٠١م قد أوضح أن نحو ١٤٪ من البوليفيين أميون، وأن نحو ٢٦٪ من الناس في المناطق الريفية لا يستطيعون القراءة أو الكتابة، والآن أصبح ٩٧٪ من السكان البالغين في بوليفيا، وهي أفقر دول أمريكا الجنوبية، يستطيعون القراءة والكتابة.



الحاسوب والإبداع الفني

نزار طه شاهين

مصياف - سورية



«منذ اليوم مات فن الرسم»، هذا القول للرسام الفرنسي المشهور دي لاكروا عندما بدأ التصوير الفوتوغرافي يشكل مصدر قلق للرسامين ضمن المنافسة بين اللوحة والصورة الفوتوغرافية، التي استعارت كثيراً من مفردات اللوحة.

ها هو ذا الحاسوب يدسّ أنفه في مجال الإبداع الفني إذا أخذنا هذا القول موازنةً مع قول الفنان دي لاكروا فإن قلقاً ما سينتاب الفنانين، إلا أنه من أول مرة غاب القلق، وأخذت كل من الصورة الفوتوغرافية واللوحة مسارهما الخاص بهما، وسيغيب القلق مرة أخرى عندما تسير اللوحة، التي يخرجها الحاسوب إلى جانب اللوحة الكلاسيكية، وسنرى أن لكل منهما مساره وتقنياته.

وعندما بدأ تحولي إلى استخدام الحاسوب في إنتاج لوحات جديدة، قدمتها في أول تجربة في سورية في المركز الثقافي العربي في أبو رمانة بدمشق في عام ٢٠٠٤م، لاحظت الفجوة بين المتلقي الذي اعتاد الطرائق التقليدية في القراءة البصرية للأعمال الكلاسيكية والقراءة الجديدة للأعمال الإبداعية المخرجة بواسطة الحاسوب، وعندما سئلت: هل كانت هذه الأعمال أشبه بأطفال الأنابيب؟ كانت الإجابة: نعم، ولكنهم أطفال من لحم ودم، وسينمون بشكل طبيعي، وسيقفون مع أقرانهم في المعارض والصالات.

فتح الحاسوب ساحة الإبداع على مصراعيها، وصار من الممكن التجوال فيها بحرية غير محدودة، سواء باستخدام الألوان الجاهزة الموضوعة في البرامج أم باستنباط ألوان جديدة، ويكفي أن نقول: إن ١٦ مليون لون يمكن أن يقدمها الحاسوب لإنجاز العمل الفني، وهو ما تعجز عن تقديمه خلطات الألوان المعروفة. قد يكون العمل الإبداعي المخرج بالحاسوب تسكنه روح أكثر برودة؛ لأن المتلقي اعتاد الطرائق التقليدية في إخراج العمل الفني من حيث خامة اللون، وبنية اللوحة.

إن رائحة بذر الكتان، وقماشة الرسم المشدودة، ولطخات الألوان، وجرة الفرش، هي الروح التي تسكن العمل التقليدي،



الفن غادر الفوتوغرافية المقروءة بالرؤية البسيطة

وهي - أيضاً - الحبل السري الذي يربط الفنان والمتلقي بالعمل الفني، ولكن الفن يبقى في المحصلة سلسلة من التطور، وقد مرّ هذا التطور بمراحل زمنية مختلفة، وكلما حدث تطور جديد كان هذا التطور عرضة لكثير من النقد، إلى درجة الاتهام بتخريب الفن، وهذا ما خلق جوقة موحدة ضد الأعمال الإبداعية من قبل المحافظين على الأساليب التقليدية، إلا أن لكل جيل تقويماته التي تختلف عن تقويمات الجيل السابق له، والفن ليس له قواعد ملزمة، أو حلقة صارمة تؤطر الإبداع، بل هو انعكاس لعالم الفنان الداخلي، أو انعكاس لتأثير العالم الخارجي، ومن هنا قد يأتي العمل الفني ذاتياً بحتاً، أو عمومياً في موضوعه.

والفن بالمعايير المتطورة لم يعد شيئاً جمالياً بحتاً، وإنما صار نشاطاً ذهنياً وفكرياً يعتمد التحليل والتركيب، وقدم مفاهيم معيارية للجمال، وابتعد عن طغيان السكونية. وعُدّ العمل الفني عملية معرفية تعتمد مشاركة من المتلقي، بل جعلته شريكاً في العمل؛ أي: فعالاً لا منفعلاً، وله أسلوبه ومفهومه في تكوين إستراتيجية نقدية تعتمد على قراءته العمل الفني، ليس من الناحيتين البصرية والجمالية فقط، وإنما من الناحية الفكرية أيضاً.

يقول الفنان الإسباني أورتيغا غاسيت: إن الفن الحديث أصبح حالياً ذا صفة غير شعبية؛ لأنه أصبح غامضاً لا يفهمه عامة الناس، وقد فقد أهم عناصره الإنسانية، وفقد صلته بعالمه الخارجي.

إلا أنه يمكن القول: إن الفن قد شهد تحولاً، وغادر الفوتوغرافية المقروءة بالرؤية البسيطة للوحة من أي كان، وتحوّل من المشاهدة البصرية الجمالية البحتة إلى حقيقة ذهنية تحمل قيماً جديدة اختلافية ذات مفهوم عقلي، وابتعد عن الفلسفة الكلية؛ لأن الإنسان أصبح مهموماً بالمكونات الجديدة للعمل الفني. ولم تعد اللوحة تعتمد جماليات نمطية تستوقف المشاهد لثوانٍ يكون قد تملى منها ثم انصرف، بل أصبحت المشاهدة تتطلب منه حواراً شخصياً مع الآخر، أو مع نفسه من خلال العمل الفني.

إن التسهيلات التي يقدمها الحاسوب إلى المبدع من خلال البرامج لا تكفي لأن تقدم عملاً إبداعياً، بل يجب أن يكون خلف العمل

فنان تمرس بالرسم الكلاسيكي أياً كانت مدارسه. والتسهيلات، التي ذكرناها، والبرمجيات المساعدة سمحت للدخلاء والمتسللين إلى ساحة الإبداع أن يقدموا أعمالاً دخيلة على الإبداع، تحت أسماء مختلفة تكون في مجملها أعمالاً لغزية، وتحمل مزاعم تجريدية، أو خروجاً من المدرسية تحت اسم الحداثة، وما بعد الحداثة. إن نقداً يوازي التطور الجديد في ساحة الفن يمنع الدخلاء من المخاتلة، وعدم الخياطة إلا بمسلة الفن والإبداع .

يختصر الحاسوب وقت الفنان في المراجعات التي يجريها على اللوحة سواء في حذف الألوان، أم التغيير في التشكيل والمنظور، وهذا لا يكلفه سوى جهد ذهني وحركة من أداة موجودة في البرنامج الذي يبدع من خلاله، كما أن مساحة اللوحة هي ميدان للتجريب يضع فيه تشكيلاته حسبما يقرره، سواء من حيث اللون، أم المنظور،

وفر الحاسوب على الفنان الوقت والجهد





التسهيلات التي يقدمها الحاسوب إلى المبدع من خلال البرامج لا تكفي، بل يجب أن يكون خلف العمل فنان متمرس

أم الضوء، وقد يستعين الفنان بأحد المرشحات التي تشكل مقاربة مع أسلوب فنان له تأثيرات يقرأ من خلالها؛ مثل: فان جوخ، أو مانيه، أو ماتيس.

وقد يستعين بصور فوتوغرافية، أو مقاطع من أعمال أخرى تشكل حاملاً لفكرة العمل. وقد يلجأ إلى توليفات ومونتاج يخدم فكرته. وما ذكرته لا يعد استسهالاً للعمل الإبداعي، إذ إن فكرة العمل تستدعي خبرات مكونة خلال رحلة طويلة راكمت تجارب كثيرة، تبلور العمل الإبداعي، وتخرجه إلى عالم المشاهدة.

إن ثقافة بصرية جديدة يجب استدعاؤها؛ لتماشي المعطيات الجديدة للحاسوب، وإلا فإن القطيعة ستكون بين الفنان وأدواته، والمتلقي، بل الناقد أيضاً. ولعل المستفيد الأول من معطيات الحاسوب هم دارسو الفنون البصرية في كليات الفنون الجميلة. وبمجرد أن نتذكر ما كان بين أيدينا من وسائل لتصميم الإعلان نرى كم هي بدائية مقارنة بما يقدمه الحاسوب.

كانت قماشة الرسم، أو الرقائق الخشبية، أو المسطحات الأخرى بعد وضع الأساس على سطوحها هي المسرح الذي يستقبل أفكار الفنان وتقنياته في العمل. أما المتاح للفنان بالنسبة إلى خامة العمل المخرج بالحاسوب فتقتصر على تشكيلة من الورق يأخذ سطحه ملمس القماش، أو خشونة محببة، أو يكون مصقولاً، ويختار المبدع ما يراه مناسباً لاستقبال طباعة عمله، فقد تتم طباعة العمل بواسطة الطابعات النافثة للحبر: التي تعتمد تقنية خاصة يطلق عليها Stochastic Dithering؛ وذلك لإنشاء انتقال انسيابي بين التدرجات المتقاربة بين الألوان، وتلاحظ العين البشرية الألوان الناتجة من هذه التقنية بسلاسة أكثر، وتختلف مساحة العمل المخرج حسب نوع الطابعة. أما إذا كانت الطباعة ستتم بواسطة المخابر المعدة لطباعة الصور الفوتوغرافية التي تستخدم الطباعة الرقمية على ورق مطلي بهاليد الفضة Silver Halide Crystals:





أكد الحاسوب أن لغة الفن تنتسب إلى عصرها

فإن مدافع ليزرية تطلق حزماً ضوئية، يتحسس الورق لهذه الكثافة التي هي - في الأصل - ألوان العمل المراد طباعته، وهذه التقنية تتفوق على الطابعات الأخرى. أما الطباعات التجارية في المطابع العادية فهي مكلفة بالنسبة إلى طباعة عمل واحد. والسؤال: هل وصل الفن إلى نهايته؟ إلى نهاية الطريق التي يسلكها وعبدتها تاريخية من العمل الذي ما زالت ذاكرة البشرية تحفظه؟ وهل الفن لم يعد باستطاعته أن يقدم شيئاً بعد المرحلة الكلاسيكية؟.

يقول هيغل: لقد ازدهر الفن الكلاسيكي مرة واحدة، ومرة واحدة فقط، وليس بإمكاننا أن نسترجع الماضي، وأن نعيد التاريخ، ولكن واقع الطبيعة والإنسان متحول لا ثبات له. إن التفسير الديالكتيكي للحياة يتناقض - تماماً - مع سكونية التشكيل وتثبيته ضمن حدود الواقع المحسوس. وأكد غارودي أن لغة الفن تنتسب إلى عصرها. فهي لغة زمانية، ومن هنا نرى أن الفن هو تعبير عن عصره وزمانه، ولا يمكن أن يقف عند مرحلة ما.

إن الإبداعات الجديدة، التي لم تغادر كادر اللوحة، وبقيت مرهونة ومستقرة لحساب الرؤية البصرية والمشاهدة والأفكار التي تحويها. تبقى قلقاً بالنسبة إلى الفنان والمتلقي إلى أن تستقر كعمل ذهني في الذاكرة، تشكل جزءاً من الموروث المعرفي منذ خط الإنسان الأول خطوطه البسيطة على جدران الكهوف، حتى المراحل التي مر بها الفن بكل تنويعاته، وأشكاله، ومدارسه، وتقنياته، حتى العتبات المجهولة التي ستكتشف لاحقاً من خلال معطيات العلم، الذي سيجرّ معه عربة المعرفة نحو أفق جديد، قد نقول معه: إن معطيات الحاسوب باتت من الكلاسيكية بمكان.

المراجع

- برجر جون، طرق في الرؤية، ترجمة: حسحس رضا.
- موران أدغار، روح الزمان، ج ١، ترجمة: د. حمصي أنطون.
- مجلة Pc Magazine، عدد أيلول ١٩٩٩م، آلات التصوير الرقمية في مواجهة الأفلام التقليدية.
- الحياة التشكيلية السورية، العدد ٧٢-٧٣، ٢٠٠٥م، مقالة للدكتور عفيف البهنسي، الفلسفة لتنظير جمالية ما بعد الحداثة.
- صحيفة الفنون الكويتية، العدد ٢١، ٢٠٠٢م، هل تلغي التكنولوجيا إبداع الفنان؟، مقالة لنزار شاهين.



أعلام

شوبان

الأسطورة الموسيقية

فاضل حسن علي كمال الدين

بابل - العراق

تظهر أساطير، ويولد أبطال نادراً ما تموت أسماؤهم؛ لأنهم مادّة التأريخ، ومادّة الخيال، هُم ميراث الجنس البشري وتُراثُه، هُم ما يُوحي بالمستقبل. وكان فردريك فرانسوا شوبان واحدةً من هذه الأساطير، وواحداً من هؤلاء الأبطال. وعلى الرغم من أنَّ شوبان كان مؤلفاً موسيقياً، إلا أنَّ اسمه ارتبط باسم «بولندا» ذاتها، وأصبحت مؤلفاته الموسيقية (المازوركا، واليولينيز) العنوان المجسّد لروح الشعب البولندي. والموسيقا التي وضعها «شوبان» لم تفقد أيَّ شيء من تأثيرها السحري، أو روحها السامية على الرغم من مرور سنين وسنين على وفاته. ثم أصبحت تلك الموسيقا لملايين لا حصر لها من الناس رمزاً للحرية والتحرر بالنسبة إلى البولنديين خلال الحرب العالمية الثانية، الذين كانوا يتذكّرون أنَّ شوبان نفسه كان قد ألَّفَ معظم تلك الموسيقا عندما كان في «باريس» مغترباً عن وطنه.

شوبان



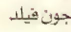
وُلِدَ شوبان في قرية «زيلا زوقا فولا» الواقعة إلى الغرب من العاصمة «وارسو» في الأول من آذار من عام ١٨١٠م، ولايزال مكان ولادته قائماً إلى هذا الحين بعد تحويله الى متحف إحياءً لذكراه. ويستريح المنزل الذي وُلِدَ فيه شوبان في حديقة واسعة بشكله الطويل والمنخفض، وبأزهاره ونباتاته الملتوية والمتسلّقة المحيطة بنوافذه وشُرفاته وممرّاته. وهناك مجموعة من الأشجار الطويلة التي توفّر الظلّ، وتخفّف من رتابة منظر السهول التي تمتدّ نحو الأفق. وفي جوار المنزل، هناك جدول يجري ويهمس بنعومة وسط حرارة الصيف، وهناك أيضاً مكان دافئ للاستراحة في الشتاء المتجمّد الصامت. وفي زمن شوبان، كان هذا المنزل يعود إلى عائلة شاربك، التي كانت



جون فيلد

بيتهوفن







باخ

قد استخدمت والد شوبان، وهو نيكولاس، معلّماً لأطفالها.

وكان نيكولاس قد وُلِدَ في عام ١٧٧١م في قرية «مارينفيل» النائمة وسط أقاليم الكروم المشمسة في منطقة «اللورين» في القسم الشرقي من فرنسا، وكان أبوه وجدُّه يمتلكان مزارع كروم واسعة. وعندما كان نيكولاس صبياً كانت قريتُه من ممتلكات أحد النبلاء البولنديين، وهو مايكل باك. وهكذا، فقد كان نيكولاس الفرنسي – والد شوبان – على معرفة بالبولنديين وهو في مقتبل العمر، وكان أيضاً على معرفة بعدد من أفراد حاشية النبيل البولندي مايكل باك ومساعديه، الذين كان من بينهم آدم ويلدليج الذي كان مسؤولاً عن تنظيم أراضي النبيل البولندي وإدارة ممتلكاته.

وكان نيكولاس الصبي أكثر ذكاءً بكثير من سائر أفراد عائلته. وهكذا، عندما كان في السادسة عشرة من العمر اغتنم الفرصة، وسافر إلى بولندا مع آدم ويلدليج، الذي كان قد بدأ بالمشاركة في إدارة شؤون النبيل البولندي مايكل باك ومشروعاته. وعلى الرغم من صغر سنّه، كان نيكولاس يحظى بكثير من الاحترام والثقة من رؤسائه، ثم أصبح ماهراً في معالجة المسائل المالية، ونفعته كثيراً براعته في اللغة البولندية، واللغة الفرنسية، وأخيراً اللغة الألمانية أيضاً.

وأحبَّ نيكولاس نوعَ الحياة التي وجدها في وارسو، واستخدم موهبته في مجال الأرقام ليصبح كاتباً تحت التدريب في معمل لتصنيع التبوغ. وطوال مدّة مكوث «نيكولاس» في (بولندا) بقي متملّصاً من التجنيد الإلزامي في الجيش الفرنسي، وكان ذلك أمراً مهماً؛ لأنَّ فرنسا كانت، في ذلك الحين، بلداً يغلي، وغير مستقرّ أبداً، وعلى حافة أكبر ثورة ملحمية. أما بولندا، فقد كانت مقسّمة منذ عام ١٧٧٢م بين (روسيا)، و(بروسيا)، و(النمسا)، وكانت تحتاج إلى قليل من التشجيع لرفع شعار الحرية والديمقراطية، وهو الشعار الذي كانت الثورة الفرنسية قد رفعتهُ، والذي أصبح في



دومينكو

ذلك الحين مثلاً أعلى لجميع الشعوب الأوربية. وهكذا، ففي ربيع عام ١٧٩٤م بدأ «الحرس الوطني البولندي» بثورة لمقاومة جيوش الاحتلال وقهرها: جيوش «كاترين العظمى» إمبراطورة روسيا. والآن أخذ التزام نيكولاس بالقضية البولندية يتزايد، وأخذ يفقد اهتمامه بشؤون فرنسا، فالتحق بالحرس الوطني البولندي، ولكنْ تمَّ سحق تلك الثورة، وأُعطيت «وارسو» إلى البروسيّين. وسيطر القنوط على نيكولاس، ولم يكن لديه مال، ولم يَعدْ هناك وجود لمعمل تصنيع التبوغ. وفكَّرَ في العوْدة إلى (فرنسا)، ولكنَّ المرض منعهُ من القيام بذلك. ثم اتخذ نيكولاس أخيراً قراراً نهائياً بالمكوث في (بولندا) وقطع كلّ صلة له بوطنه الأصلي (فرنسا).

كان «شوبان» يقضي عطلته في المناطق الريفية العائدة إلى أصدقائه. وفي تلك المناطق الريفية البعيدة من «وارسو» بدأ «شوبان» يتأثر بالفلاحين البولنديين وبفنّهم الموسيقي

وقد برهنت براعة نيكولاس في اللغة الفرنسية وفي اللغة البولندية على فائدتها الكبيرة له. فأصبح، في السنوات الأولى، معلّماً لأطفال عددٍ من العوائل الأرستقراطية. ولكنَّه رضي أخيراً بوظيفة لدى عائلة شربك في عام ١٨٠٢م. حيث قابل الفتاة التي ستصبح زوجةً له في المستقبل، وهي جستينا، التي كانت فتاةً هادئة المزاج، وذات ثقافة جيدة. وقد جاوزت العشرين من عمرها بسنوات قليلة. وكانت جستينا ابنة أحد المزارعين الذي كانت له علاقة قرابة ضعيفة بعائلة «شربك» الثريّة. وكانت «جستينا» مساعدة للكونتيسة، ويقال: إنها كانت تعزف على البيانو بصورة جيدة، ومن الواضح أنها كانت قد فَتَنت نيكولاس والدَ شوبان الذي كان حساساً للموسيقا الجيدة، وكان يعزف على الفُلوت والكمان، وتم زواجهما في حزيران عام ١٨٠٦م، ورزقا بأربعة أطفال، هم: لويز، وفردريك، وإيزابيلاّ، وأميليا.

وكان شوبان الصغير طفلاً حساساً وذا مزاج شعريّ، وهما سمتان ورثهما من أُمّه، وكانت تربيتة الأولى قد تمّت في «وارسو»، حيث كان أبواه قد وصلا إليها بعد ولادته بمدّة قصيرة، وكان أبوه يشغل وظيفة أُستاذ اللغة الفرنسية في أحد المعاهد العالية. وكانت «وارسو» في ذلك الحين لا تزال جزءاً من «غراندوقية». و«ارسوا» التي كان نابليون قد أسسها في عام ١٨٠٧م. ولم يكن النموذج النابليوني، بالنسبة إلى شوبان الصغير، يعني شيئاً، ولوْ أنَّ ذلك النموذج كان قد أعطى لوْناً وشكلاً لذلك العصر. كان الرعب والكارثة يلوحان في الأفق البعيد، وكانت جيوش نابليون تنظم حملات منتصرة، ولكنَّ «وارسو» بقيت في عزلة، وظلّت أحدَ مراكز السلم في أوربا. وبحلول عام ١٨١٤-١٨١٥م، وعند اجتماع «مؤتمر فينّا» لإعادة تنظيم أوربا المفككة، أُعيدَ تقسيم (بولندا) مرةً أخرى بين (النمسا)، و(روسيا)، و(بروسيا)، وأصبحت «وارسو» عاصمة المنطقة التي كانت تحت سيطرة الرُّوس، الذين كانوا قد أعادوا احتلال المدينة في عام ١٨١٣م.

وكان ما اتَّصَفَ به والد شوبان من منطق ومن حصافة قد أثَّر تأثيراً كبيراً في صياغة شخصية شوبان الصغير. فجاءَ سلوكُهُ مستقيماً مع امتلاكه براعات اجتماعية.

كان شوبان أرستقراطياً بطبيعته، وكان يثير دائماً استغراب معاصريه؛ إذ إنَّه يجب علينا أنْ نتذكَّر أنَّه كان يُنْظر إلى الموسيقيين،



موزارت

في تلك الأيـام، على أنَّ مرتبتهم لا تزيد على مرتبة الخدم إلاّ بقليل، وهي نظرة انحدرت من الزمن السابق عندما كان مؤلِّفون موسيقيّون - مثل باخ، ودومنيكو سكارلاتي، وهايدن - في خدمة الأثرياء أو الكنيسة. وفي ذلك الحين، كان المؤلّفون الموسيقيّون لا يقدِّمون الموسيقا إلاّ عند طلب ذلك منهم؛ أيْ: كسلعة لغرض التسلية، أو أنها كانت تُقَدَّم في مناسبات خاصة. ولكنْ في القرن التاسع عشر، وعلى غـرار مـا فعل بيتهوفن، قـام الموسيقيون بتحرير أنفسهم من تلك العبودية.

ولـكنَّ جمهور المستمعين المكوَّن مـن الأسـر والشخصيَّات الملكيّة والأرستقراطيين كان لايزال ينظر إلى الموسيقيين بشيء من الازدراء، وكانوا ينظرون إلى عازف البيانو على أنه مجرد شخص يقدِّم نوعاً عادياً من أنواع التسلية، وهي مهنة يجب ألاّ يفكِّر فيها شخص من عائلة رفيعة المستوى، وتتمتع بشيء من الرفاه الماديّ؛ أيْ شخص مثل شوبان.

وكـان حبّ شوبان العميق للموسيقا قد عبَّـرَ عن نفسه في مرحلة مبكِّرة من حياته؛ إذْ هناك قصص عنه تُذْكَر، فمثلاً: عندما كانت أمّه وأخته الكبرى لويز تعزفان على البيانو الكبير، كانت الدموع تطفُر من عينيْ شوبان الصغير؛ بسبب شدَّة تأثُّره بجمال الأصوات التي كان يسمعها وعذوبتها. وسرعان ما بدأ في استكشاف لوحة مفاتيح البيانو من تلقاء ذاته، وكأنّما كان يجدُ البهجة في تجربة الأنغام. وعندما بلغ شوبان السابعة من عمره اختار له أبوه وأمّه «أدالبرت زويني» ليكون المعلم الأول له.

وكان زويني مؤلفاً موسيقياً من «بوهيميا»، وكان عمرهُ في ذلك الحين إحدى وستين سنة، وكان شخصاً كفؤاً، فغرس في نفس شوبان، خلال مدّة خمس سنوات، إعجابَه الأبدي بأعمال باخ وموزارت، وقام زويني أيضاً بتشجيعه على استكشاف رؤية المؤلفات الموسيقية لكبار المؤلفين في «فينا»، بالإضافة إلى القطع الموسيقية الأحـدث لموسيقيين هـم أقـلّ منزلة، وقـام بتزويده بأساس متين في مبادئ فنّ الموسيقا.

ولكنْ بالإضافة إلى الدروس التي كان شوبان يتلقّاها من زويني، كان يجد متعة في الارتجال وتأليف قِطَع موسيقية من عندهِ تفوق المتعة التي كان يجدها في العزْف حسب السُّلَّم الموسيقي والوزن، أو في تمرينات الأصابع.

البدايات والتدريب

بعد أشهر قليلة مضت على بداية تدريب شوبان على يد زويني بدأ شوبان يعزف أمام الجمهور، وفي نهاية عام ١٨١٧م وُصِفَ شوبان في يوميّات إلكسندرا تانسكا بأنّه «خليفة مـوزارت»، وعندما كان «شوبان» طفلاً لم يتجاوز السابعة من عمره حظيَ بشعبيّة واسعة. وسرعان ما انتبهت إليه عدة عوائل بولندية مشهورة. وفي أثناء ذلك، كان أبوه يراعي ألا يكون هناك نقص في تعليم ابنه تعليماً عاماً، وإلى أنْ بلغ شوبان الثالثة عشرة من العمر كان يدرس في المنزل تحت إشراف والده، الذي كان شديد

الحذر من أنْ يلقى طفلهُ المعجزة المصير نفسه الذي لقيه عدد كبير جداً من الأطفال العباقرة الآخرين.

وخلال الأشهر القليلة الأولى من تلقّي شوبان دروساً من زويني، كان قد بدأ في التأليف الموسيقي أيضاً. وهكذا تمَّ في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٨١٧م نشْر قطعة موسيقية بولندية قصيرة كانت في السُّلَّم الموسيقي السابع. وفي السنة ذاتها، ظهر له لحن عسكري (مارج) أثَّرَ كثيراً في الدوق قسطنطين. وظهرت له أيضاً عدة قطع موسيقية أخرى برهنت على أنَّ مواهب شوبان الخلاَّقة والحقيقيّة تكمن في مجال فنّ الموسيقا، وليس في أيّ مجال آخر.

وعلى الرغم من انهماك شوبان الشديد في الموسيقا، واتّصاله الحميم، وهو في مقتبل العمر، بالشعراء والكتّاب والفنانين الذين اعتادوا الالتقاء في منزل والده، لم يكن شوبان مغروراً أو كئيباً في نظرته إلى الحياة، بل كان - في الواقع - عظيم الهمّة، ومتصفاً بنشاط وروح مرحة، وليس كما وصفهُ «ليست» في كتابه عن سيرة شوبان. وكان شوبان يتَّصف أيضاً بروح فكاهية، ولديه وَلَع سليم في الاتصال بزملائه، الذين كانوا أطفال العوائل النبيلة في كثير من الأحيان. وعندما كبر قليلاً كان يجد متعة في التزلّج على الجليد، ومغازلة الفتيات؛ مما كان يثير الذعْر أحياناً في نفس والده.

ثم ترك «شوبان» الدروس التي كان يتلقّاها من معلّمه «زويني»، وأصبح طالباً في المعهد العالي في «وارسو» في خريف عام ١٨٢٣م. وهكذا ابتدأ تعليمه الرسميّ. وكان من الضروري أنْ تحتلّ الموسيقا المرتبة الأخرى في اهتماماته خلال السنوات الثلاث اللاحقة. وخلال فصول الصيف الطويلة والحارّة في أوربا الوسطى، كان«شوبان» يقضي عطلته في المناطق الريفية العائدة إلى أصدقائه. وفي تلك المناطق الريفية البعيدة من «وارسو» بدأ «شوبان» يتأثّر بالفلاّحين البولنديين وبفنّهم الموسيقيّ. وبقيامه

مرَّ «شوبان» بظروف عاطفية مُكربة للنفس ممّا انعكسَ على بعض أعماله مثل موسيقاه الملتهبة في «الشرزو الثانية» المحتوية على أقصى جوّ عاصف، وأقصى سكون

بمراقبة خطوات الرقصة، وإيقاعات موسيقا «المازوركا»، وغيرها من الموسيقا المحلية، وجدَ «شوبان» الوقت الكافي للتجريب، ووَضْع عدة مقطوعات موسيقية قام لاحقاً بتطويرها لتصبح كياناً من موسيقا بارزة في العزْف على البيانو. وفي الصالونات وقاعات الرقص العائدة إلى الأرستقراطيين في «وارسو» انسحر «شوبان» بموسيقا «بولناز»، التي سرعان ما ارتبط بها معلناً أنه سوف يُجري تغييرات في صورة هذه الموسيقا.

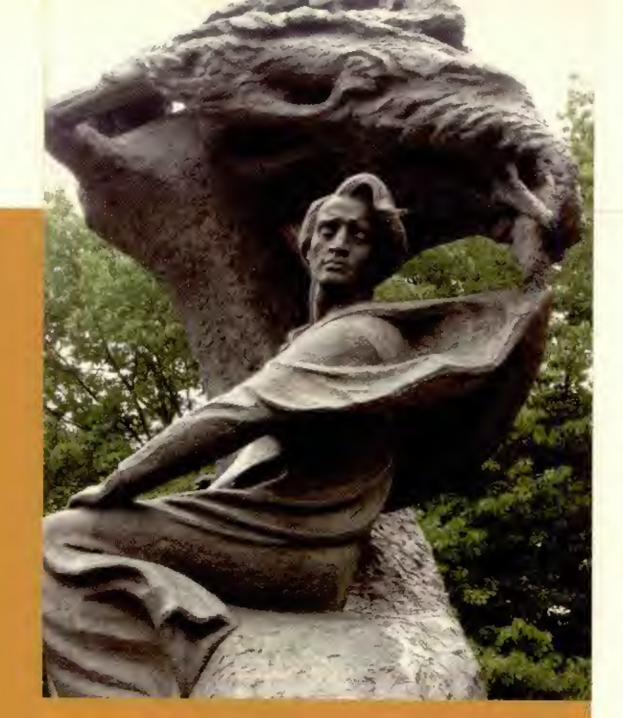
وكان عام ١٨٢٥م عاماً حاسماً في تقرير مستقبل «شوبان»، ففي مايو من العام المذكور كان «شوبان» قد دُعي إلى العزف على نوع جديد من البيانو والأُرْغن في الصالة الكبرى في المعهد الموسيقي في «وارسو»، وقد ترك «شوبان» انطباعاً جيداً بسبب مقطوعاته الموسيقية، ثم عزف بعد ذلك كونشيرتو على البيانو كانت من تأليف «موشلس» الذي كان مؤلفاً موسيقياً حديث الظهور، وواحداً من المؤثرين في فنّ «شوبان» في المرحلة الأولى من حياته. وبعد أيام قليلة طلب «ألكسندر الأول»، قيصر روسيا، وأخو الدوق «قسطنطين»، من «شوبان» أنْ يعزف على الآلة الجديدة «البيانو الأرغن»، ثم أهداه حلقة ماسيّة تذكاراً لتلك المناسبة.

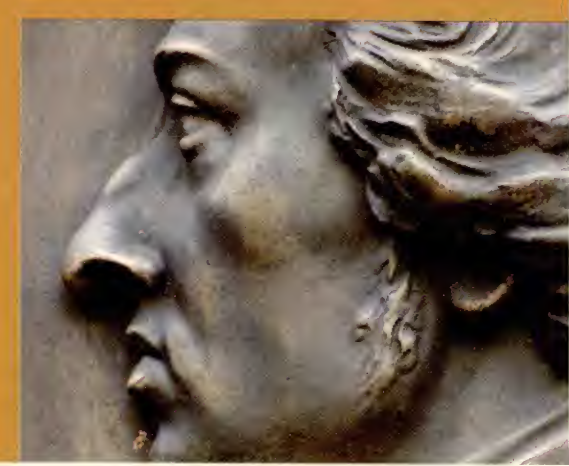
وفي الثاني من حزيران/ يونيو بعد أيام قليلة من عزف «شوبان» أمام القيصر، أعلنت صحيفة «كورييرِ» الصادرة في «وارسو» عن نشْر أول عمل رسمي له، هو «الروندو» في السُّلَّم الموسيقي الثالث، الذي أهداه إلى زوجة مدير المعهد الذي كان يدرس فيه، وقد ساعد «الروندو» على تعزيز الانطباع عن موهبة «شوبان» عند عزفه أمام القيصر، وقد أدّى الإطراءُ الشديد لتلك الموهبة من قبل الأمير «أنطوان رازيويل»، وكذلك من قبل إحدى المجلات الألمانية المهتمَّة بالموسيقا، إلى إقناع والد«شوبان» ووالدته بأنَّ ابنهما يجب أنْ يتجه إلى امتهان مهنة موسيقيّة.

وكانت برامج السنة الأخيرة في المعهد العالي تركّز في موضوعات عامة. وكان والده يهتمّ بأنْ يركّز ابنه تركيزاً خاصاً في علم الرياضيات والكلاسيكيات.

في المعهد الموسيقي في وارسو

في أيلول/ سبتمبر من عام ١٨٢٦م تمَّ تسجيل «شوبان» طالباً في المعهد الموسيقي في «وارسو» للدراسة فيه لمدَّة ثلاث سنوات.





من أشكال تكريم شوبان

ودرس «شوبان» على يد أُستاذه «ألسنَر»، وسرعان ما تعرَّف طرُقه، وكان «ألسنَر» مؤلِّفاً موسيقياً ناجحاً من الناحية الأكاديمية، وكان يهتمّ بأنْ لا يفرض إرادته على «شوبان»، وكان مما يُغضبُه أنْ يجد «شوبان» ضعيفاً في محاولاته في بعض الموضوعات الموسيقية، مثل نظرية الموسيقا، وفنّ مزْج الألحان (الطِّباق)، والإيقاع (الهارموني)، وتأليف الألحان للأوركسترا، وقد وجَدَ «شوبان» أنَّ أحسن ما يعبّر عمّا في داخل نفسه هو الذي يأتي من مقطوعات موسيقية فردية وأصيلة ومكتوبة للبيانو فقط، ووجدَ «شوبان» نفسه غير مهتم بالأشكال الرسمية في التأليف الموسيقي، وأنَّ تمريناته فيها تلقى إخفاقاً واضحاً.

وإذا كان «شوبان» قد وجَد صعوبة في الدراسة الأكاديمية، وعلى يد معلّميه، فقد كان قادراً في أوقات فراغه على أنْ يجرِّب، وأنْ يكتب مقطوعات موسيقية كما يشاء، ولم يكن أحد يقيِّد حرّيته وفضوله الطبيعي، ولم يكن هناك أحد يشكّك في أساليبه. وكان من بين المقطوعات الموسيقية الممتعة التي ألَّفها في ذلك الحين المقطوعة المعنونة «Rondo a la Mazur»، وسبب بروز تلك القطعة الموسيقية هو الاستخدام المبكّر للدرجة الموسيقيّة الرابعة المميّزة للشكل «الليدي»: (أي: النغمة الموسيقية من المرتبة السادسة في السُّلَّم الموسيقي الثالث)، التي كانت لها علاقة بالتغيّرات في درجات اللّحن في الموسيقا الشعبيّة البولندية.

ويعود إلى عام ١٨٢٧م تأريخ أول «مقطوعة حالمة» (تُعْزَف على البيانو) في السُّلَّم الموسيقي الخامس، وكان «شوبان» قد وضعها بشكل جعلهُ خاصاً به بعد أنْ أجرى تغييراً في الصيغة الأصلية المأخوذة من نماذج المؤلِّف الموسيقي الإيرلندي «جون فيلد» الذي كان تلميذاً من تلاميذ «كليمنتي» الذي كان قد استقرّ في «سان بطرسبيرغ».

وكانت أهمّ الأعمال الأولى التي وضعها «شوبان» عندما كان طالباً هي مجموعة ألحان للبيان والأوركسترا، كان «شوبان» قد كتبها خلال العطلة الصيفية في عام ١٨٢٧م، وكان الموضوع الذي استخدمه «شوبان» أساساً لعمله هو موضوع اجتذبَ عدداً كبيراً من المؤلِّفين الموسيقيين الذين كتبوا عدداً من «الفنتازيات» الرائعة فيه، غير أنَّ إنجاز «شوبان» كان إنجازاً موسيقياً كبيراً سعى فيه إلى الجمع بين الفكرة المتأنقة الدقيقة والعرْض الفنيّ الرائع. وقد كان ذلك العمل الموسيقي عظيماً، حتى إنه أثَّرَ تأثيراً عميقاً في «شومان» الذي كتبَ في مجلة صادرة في «لايبزيج» في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٨٣١م قائلاً: ارفعوا قبَّعاتكم أيها السادة، فأنتم أمام عبقري، أنا أنحني أمام عبقرية شوبان التلقائيّة وغرضه السامي وبراعته. وكان ذلك أول تقدير جادّ لبراعة «شوبان» كمؤلف موسيقي.

لم يكن «شوبان» مغروراً أو كئيباً في نظرته إلى الحياة، بل كان - في الواقع - عظيم الهمّة ومتصفاً بنشاط وروح مرحة

الموسيقا التي وضعها «شوبان» لم تفقد أيَّ شيء من تأثيرها السحري، أو روحها السامية على الرغم من مرور سنين وسنين على وفاته

وفي السنة التالية عام ١٨٢٨م، نجد «شوبان» يقوم بتوسيع خبراته. وكانت الحياة الموسيقية في «وارسو» تركز، بشكل تام تقريباً، في «الأوبرا» (المسرحيّة الموسيقيّة)، وكان العنصر الرئيس في تلك الحياة هو «روسيني» الذي اكتَسَحت موسيقاه أوربا كلها من أولها إلى آخرها، وكان «شوبان» شديد الحماسة لموسيقا «روسيني»، واستخدم ألحان «روسيني» الشائعة في الأعمال التي وضعها. ولكنَّ «شوبان» أخذ يسأم من ذلك، وهكذا، فعندما زار «وارسو» المؤلِّفُ الموسيقي، والعازف على البيانو والمدرس «جون نيموكا هميل»، في وقت مبكّرمن عام ١٨٢٨م، اغتنم «شوبان» تلك الفرصة لكي يستمع إلى «هميل» وهو يعزف، وسرعان ما أثّرت فيه تأثيراً عظيماً مقطوعات «هميل» الموسيقية، وأسلوبه في العزْف على البيانو، مما كان يجمع بين البساطة الكلاسيكية (حيث كان «هميل» تلميذاً من تلامذة «موزارت» و«هايدن» و«كليمنتي») والقوّة الرومانتيكية والبراعة في استخدام الأصابع، وهي خصائص كان المتوقَّع بروزها في أعمال «شوبان» الموسيقية، ولم يتردَّد «شوبان» في الإسراع إلى التعرُّف إلى «هميل».

وعلى الصعيد الأكاديمي، قضى «شوبان» عام ١٨٢٨م يتدرَّب على كتابة مزيد من المقطوعات الموسيقية لأغراض المعهد الموسيقي، غير أنه قد أصبح الآن طالباً متقدِّماً، وأخذ يسعى إلى الوصول إلى حلّ وسط بين دواعي ميوله الإبداعية من جهة، وما يطلب منه أساتذتُه في المعهد من الجهة الأخرى، وقام بتأليف «ثُلاثية للبيانو»، وأهداها الى الأمير «أنطوان رادزيويل»، الذي كان قد شجَّعهُ كثيراً عندما عزف «شوبان» للقيصر في عام ١٨٢٥م، وكتب «شوبان» أيضاً مقطوعتين موسيقيتين أُخريين للبيانو والأوركسترا، هما: «الفنتازية الكبيرة بالألحان البولندية». ثم «الروندو الكونشيرتي الكبير» الذي كان مقطوعة جميلة ومفعمة بالأحاسيس.

وفي ربيع عام ١٨٢٩م، وخلال الأشهر القليلة المتبقيّة على انتهاء مدة «شوبان» في المعهد الموسيقي، ارتأت عائلة «شوبان» أنها سوف لا تجني شيئاً من وراء إبقائها ابنها في «وارسو». وهكذا، ففي الثالث عشر من نيسان/ إبريل عام ١٨٢٩م، واعتماداً على ما حقق «شوبان» من شهرة، وعلى ما يبشِّر به مستقبلهُ، قدَّمَ والدُه طلباً إلى «وزير العلاقات العامة» طلبَ فيه من الوزير تخصيص أموال لدعم «شوبان» في الأسفار التي ينوي القيام بها في أرجاء أوربا، وبخاصة ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا من أجل منْحه الفرصة لتكوين نفسه اعتماداً على أفضل النماذج.

وفي تموز من عام ١٨٢٩م انتهى «شوبان» من دراسته الأكاديمية في المعهد الموسيقي في «وارسو» بنجاح، وأصبح الآن حراً فيما يفعل.

أسفار.. ووداعاً لبولندا

بعد أنْ أخفقت عائلة «شوبان» في الحصول على منحة من وزير العلاقات العامة، ظَلَّت مقتنعة بضرورة قيام «شوبان» بالسفر إلى خارج (بولندا) على الرغم من محدوديّة الموارد التي كانت لديها. وهكذا، قام «شوبان» بترك «وارسو» بعد انتهاء دراسته في المعهد الموسيقي مباشرةً تقريباً. وكان المكان الذي يقصدهُ هو «فيِنّا» التي كانت، بعد باريس، أهمّ مركز من المراكز الموسيقية في أوربا، وكان جوّ الحياة في «فينّا» لايزال يعكس ميراثها، وكان أرواح الثلاثة العِظام - هايدن، وموزارت، وبيتهوفن- تلوح في كل شيء، ولم تكن قد مرَّت على وفاة «بيتهوفن» سوى سنتين فقط.

ووصلَ «شوبان» إلى «فينّا» في الحادي والثلاثين من تموز/ يونيو عام ١٨٢٩م، وبعد تشجيع من قبل عدد من المهتمين بالموسيقا، قدَّمَ «شوبان» حفلته الموسيقية في الحادي عشر من آب/ أغسطس. وكان عملهُ الرئيس- على غرار الطريقة التي كان فيها «بيتهوفن» يقدِّم موسيقاه - هو تقديم ألحان متنوعة استقبلها الجمهور استقبالاً صاخباً.

وقد جعل الانطباعُ الذي ولَّدتهُ تلك الحفلة الموسيقية الأولى «شوبان» يقدم حفلة أخرى في الثامن عشر من آب، وكان من بين الأعمال التي قدَّمها «شوبان» موسيقا «الكراكوفياك».

ثم أصبح «شوبان» حديث الساعة؛ إذ إنه كان نجماً لامعاً جديداً يرتفع في سماء الموسيقا، والتقى «شوبان» عدداً من الأشخاص من ذوي المكانة الذين كان من بينهم «جيرني» (الذي

وجد «شوبان» صعوبة في الدراسة الأكاديمية على يد معلميه، إلا أنه كان قادراً في أوقات فراغه على أنْ يجرِّب، وأنْ يكتب مقطوعات موسيقية كما يشاء

كان معلّماً لـ«ليت»، وتلميذاً لـ«بيتهوفن»)، و«جيرويش» الذي كان مؤلِّفاً موسيقياً، وكانت له أعمال موسيقية كثيرة، اشتملت على كونشيرتات، وعلى أكثر من ستين سمفونية.

كانت زيارة «شوبان» لـ«فينّا» ناجحة من الناحية الفنيّة، وكان «شوبان» قد أسَّس صداقات جديدة مع أشخاص كثيرين. وفي التاسع عشر من آب عام ١٨٢٩م، غادر «شوبان» مدينة «فينّا» متوجِّهاً إلى «براغ»، التي كانت سابقاً عاصمة لملك «بوهيميا»، ثم أصبحت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية تحت حكم عائلة «هبسبيرغ»، وكانت «براغ» تمتلك تراثاً موسيقياً عظيماً يعود تاريخه إلى ألف سنة سابقة، وكان جمهور المستمعين فيها جمهوراً حسن التمييز في كل وقت. وبعد أنْ ترك «شوبان» مدينة «براغ» اتجه إلى مدينة «درسدن» القديمة والشهيرة بالفنّ المعماري فيها، وبمجموعات الأعمال الفنيّة وبمكتباتها، ثم إتجه إلى «باريس» ووصل إليها في منتصف شهر أيلول/ سبتمبر، وقُدِّرَ له أنْ يقضي السنين المتبقية له من حياته، وهي أهمّ سني حياته، في تلك المدينة العالمية.

وفي «باريس»، وجدَ «شوبان» الجوَّ الذي كان يحتاج إليه، وأصبحت «باريس» هي المسرح الذي ستحقَّق عليه أعظم انتصارات «شوبان». ولم تكن الاهتياجات السياسية، التي كان المواطنون ينغمسون فيها، تهمُّ «شوبان».

وصول «شوبان» إلى باريس

قبل وصول «شوبان» إلى باريس بنصف قرن تقريباً، كانت فرنسا مرجلاً يغلي، ويطالب بالإصلاح. ومن المؤكد أنَّ «نابليون» كان هو الشخص البارز في تلك المدة؛ إذْ إنه كان قد صاغَ قطراً جديداً، واحتلَّ أوربا، وحقَّقَ لنفسه مكانةً في التاريخ، وكانت أهمّ



النتائج التي ترتبت على حكم «نابليون» في فرنسا هو تأسيس نظام إداري حديث في فرنسا، وظهور حريّات جديدة في القسم الأعظم من القطر، وهي حقوق كانت تسيطر عليها سابقاً طبقة النبلاء التي لم تكن تهتم كثيراً بمصير الفلاحين من السكان.

وقد ثارت في البداية الجماهير المحرومة من حريّة التعبير عن نفسها، وكانت ثورتها ضدّ الملك لويس السادس عشر والملكة «ماري أنطوانيت»، فاقتحمت سجن «الباستيل»، الذي كان رمزاً للاستبداد الملكي، وكان ذلك في تموز من عام ١٧٨٩م.

وحقّقت ثورة عام ١٧٨٩م في فرنسا شيئاً من الإصلاح، غير أنَّ المتطرفين كان همُّهم القضاء على الملك نهائياً. وأخيراً انتصرَ رأي المتطرّفين، وأُعدم الملك لويس السادس عشر بالمقصلة في عام ١٧٣٩م، وأُعلنت الجمهورية الأولى، وتمَّ إدخال إصلاحات جديدة، وانحسرت حقوق الطبقة الأرستقراطية، وتحسَّن نصيبُ الفلاحين، وأُلغيت العبودية.

وكان الصعود الخيالي لنابليون بونابرت، الضابط الكورسيكي الشاب، بمنزلة تكريس للجمهورية الأولى وخدمة لها. وكان «نابليون» قد انتخب في عام ١٧٩٩م ليكون قنصلاً، غير أنَّ الجماهير أصرَّت على جعْله إمبراطوراً، وفي عام ١٨٠٤م، تمَّ تتويج «نابليون» حسب الأصول المتَّبعَة في ذلك. وأثارَ ذلك الإجراء كثيراً من الانتقاد. وفي حين كان «نابليون» في البداية بطلاً للحرية، خالَفَ الآن -في الواقع- المثُل العُليا التي كانت الثورة تسعى إلى تحقيقها؛ إذ إنه قد أصبح الآن ديكتاتوراً يمارس حكْماً استبدادياً.

وفي تلك السنوات، ووسط الأحداث المضطربة، نظَّمَ المفكّرون الشباب في «باريس» أنفسهم في جماعة سُمِّيَتْ «أبناء القرن»، وقد جسَّدَتْ فلسفتُهم نموذجَ «روبيير» و«دانتون» من الناحية السياسية، وكانت تلك الجماعة تدافع عن حرية الكلام والفكر والرأي، ولم تكن تلك الجماعة تهتمّ كثيراً بالتقاليد والأعراف الرسمية، وبالأصول التي كانت متَّبعة في الماضي القريب، بلْ كانت تسعى إلى لغة جديدة للتعبير.

وفجأة، وجد «شوبان» نفسه يغرق وسط هذه الجماعة من الفنانين والموسيقيين والكُتّاب الشباب في «باريس»، وكانت تلك الجماعة تشكل، في ذلك الحين، القلبَ في أبرز تجمُّع ممنوع يؤثّر أعضاؤه أحدُهم في الآخر، وهو تجمُّع كائن في مكان واحد، وفي زمن واحد، وكان «فكتور هوغو»، و«بلزاك» و«لامارتين» يشكّلون رأس الحربة الأدبية، في حين أنَّ «دي لاكروا» كان يقود المدرسة الرومانتيكية في فنّ الرسم. ومن الموسيقيين في هذه الجماعة، كان «ليبست» أكثرهم تقدُّمية، وكان أصغر من «شوبان» بثمانية عشر شهراً، ثم «برليوز».

وكان «شوبان» قد جلبَ معه من أشخاص متنفذين في «فينّا» عدداً من الرسائل التي تساعده على التعرُّف إلى موسيقيين بارزين في «باريس»، وكانت إحدى تلك الرسائل موجَّهة إلى «فرديناند باير» أحد الموسيقيين البارزين في ذلك الوقت، ومدير «مسرح القصر» في باريس، وقام باير بتقديم «شوبان» إلى أشهر الشخصيات وألمعها في عالم الموسيقا الذين كان من بينهم «روسيني»، و«كلكبرنَر» و«جيروبيني»، وترك «كلكبرنر» أعظم أثر في نفس المؤلّف الموسيقي



شوبان لا يزال يشغل العالم

الشاب «شوبان».

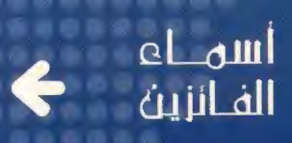
وكان «شوبان» في ذلك الحين في حالة تردُّد: فماذا يجب أنْ يكون شكل مستقبله؟ أيجب أنْ يكون عازفاً على البيانو أم مؤلِّفاً موسيقياً؟ ولم يُدرك «شوبان» إلاّ لاحقاً أنَّ الحياة الشاقّة لعازف البيانو لم تكن ملائمة له قط، وهو لم يكن قادراً على منافسة «ليست» مثلاً، وكان معلّمه السابق «ألسنَر» يصرُّ على ضرورة قيام «شوبان» بقصر جهوده على نوعٍ واحد من الأنشطة الموسيقية، هو التأليف الموسيقي، وكان يؤكّد أنَّ عرْض «كلكبرنَر» بالقيام بتدريس «شوبان» هو عرْض سيؤدي إلى إعاقة تطوُّره كمؤلِّف موسيقي، وكان «ألسنَر» يريد لشوبان أن يصبح شخصيّة قومية عظيمة في التأليف الموسيقي للأوبرا، معتمداً في ذلك على ماضي (بولندا) كمصدر لإلهامه. ومع ذلك، وعلى الرغم من شعور «شوبان» بعشْق عميق للأوبرا، كان يعرف أنه غير قادر على إحراز تطوُّر في هذا المجال، ولوْ أنَّ العنصر القومي كان من العناصر المميِّزة لتكوينه.

وفي الرابع عشر من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٨٣١م عبَّر «شوبان» عن رأيه في الموضوع برسالة أرسلها إلى معلّمه السابق «ألسنر». أخبرهُ فيها بتحرُّره من الوهم في أنْ يصبح مؤلِّفاً موسيقياً، وكان «شوبان» يرى أنه مازالت أمامه فرصة ضئيلة في أنْ يصبح عازفاً على البيانو ناجحاً، فإذا كان هناك مؤلِّفون موسيقيون، مثل «ميربير» الذي كان موسيقياً حديث الطراز جداً، قد واجهوا صعوبة في إيجاد مجال لإيصال موسيقاهم، فما الفرصة التي أمامه لإيصال موسيقاه إلى الأسماع بنجاح؟ وارتأى «شوبان» أنَّ الاستمرار في جهوده كعازف على البيانو هو القرار الأفضل، وترك فكرة الدراسة والتلمذَة على يد المؤلِّف الموسيقي اللاّمع «كلكبرنَر».

وقد لقيت جهود «شوبان» في أنْ يصبح عازفاً على البيانو

كانت أهمَّ النتائج التي ترتبت على حكم «نابليون» في فرنسا هو تأسيس نظام إداري حديث وظهور حريّات جديدة في القسم الأعظم من القطر





العدد ٣٨٥ / ٣٨٦

رجب - شعبان ١٤٢٩هـ.

الفائز الأول:	جميلة يحيى محمد حسن - صنعاء - اليمن.
الفائز الثاني:	محمد عبدالغفار علي - الدقهلية - مصر.
الفائز الثالث:	نبيل حمدي مصطفى عبيد - أبو ظبي - الإمارات.
الفائز الرابع:	إنعام محمد سليمان الدباس - الجبيهة - الأردن.
الفائز الخامس:	صلاح الدين عبداللطيف تكريتي - الدوحة - قطر.
الفائز السادس:	طه فيصل شقير - دمشق - سورية.
الفائز السابع:	هاشم أحمد حسين - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز الثامن:	منية سالم التريكي - المنستير - تونس.

حل المسابقة

العددان ٣٨٥ / ٣٨٦

رجب - شعبان ١٤٢٩هـ.

١- مكتشف البنسلين هو إليكساندر فلمنج.

٢- اسم صوت الحصان إذا طلب العلف: الحمحمة.

٣- جاري ميلر هو صاحب كتاب «القرآن المذهل».

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العددان ٣٩١-٣٩٢

المحرم - صفر ١٤٣٠هـ.

(١) لماذا صام اليهود عاشوراء؟..............................

(٢) لماذا تسمى مدينة غزة بغزة هاشم؟ ....

(٣) اذكر بعض أسماء القدس عبر التاريخ؟ ....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل. فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً، وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب:: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

متميزاً استحساناً من قبل الموسيقيين الشباب الذين كانوا في باريس، والذين كان من بينهم «ليسْت» و«أُوغسْت فرانشوم»، الذي كان عازفاً على «الفيولونسيل»، والذي أصبح من أصدقاء «شوبان» الحميمين. ولكن على الرغم من صداقة «شوبان» لهذيْن الفنّانين، وغيرهما من الفنّانين المتحمسين للرومانتيكيّة، وعلى الرغم من اتصاله بنماذج ثوريّة من الفنانين التقدميين من أمثال «برليوز»، بقي «شوبان» عازلاً نفسة سياسياً ومستقلاً في آرائه.

نشاط «شوبان» الفنّي في باريس

كان من المقـرَّر إقامة الحفلة الموسيقية الأولى لشوبان في باريس، وهي الحفلة التي دعمها المؤلِّف الموسيقي اللامع «كلكبرنَر» وآخرون في يوم عيد الميلاد من عام ١٨٣١م، غير أنَّ أحد المغنين كان غير قادر على المشاركة، وثمَّ تأجيلها إلى الخامس عشر من كانون الثاني/ يناير. وبعد ذلك، سقط «كلكبرنَر» مريضاً. وأخيراً، لم تتحقَّق تلك الحفلة إلاّ في السادس والعشرين من شباط/ فبراير عام ١٨٣٢م، وكان مكان الحفلة هو الصالون العائد إلى «كميل بليل»، الذي كان مشهوراً بما لديه من آلات بيانو متنوِّعة. وكانت نتيجة تلك الحفلة الموسيقية الأولى أنْ جَعلَت «شوبان» يصل إلى الصفّ الأمامي من صفوف العازفين على البيانو في باريس، وقدَّمَ «شوبان» في تلك الحفلة «كونشيرتو» في السُّلَّم الموسيقي السادس مع مقطوعات موسيقية وألحان متنوِّعة. ولم تكن هناك «أُوركسترا»؛ لذلك أدّى «شوبان» الفقرتين كلتيهما بشكل عمل منفرد؛ مما أبرزَ خصائص «شوبان» ومزايا موسيقاه أيضاً.

وشاركَ «شوبان» أيضاً في عزف موسيقا بولنديّة الأصل، هي «بولناز كبير»، مع مقدّمة موسيقية ولحن عسكري. وكانت هناك أيضاً مقطوعات موسيقية مؤلفها «كلكبرنَر»، كان قد ألَّفها لستَّة من العازفين على البيانو، من بينهم «جورج أُونسلو»، الموسيقي الناجح، ذو الأصل الإنكليزي والفرنسي، وكذلك «فرديناند هيلر» الذي كان تلميذاً للمؤلِّف الموسيقي «هميل» وأحد أصدقاء «شوبان» المقرّبين. وكان «فرديناند هيلر» هو عازف البيانو الأول الذي عزف «الكونشيرتو» الخامسة لبيتهوفن في باريس.

أثارت شهرة «شوبان» شغفاً كبيراً بالحفلة الموسيقية التي حضرها عدد كبير من الموسيقيين والناقدين المشهورين، الذين كان من بينهم «فتي» ذو المكانة المرموقة، والقلم اللاذع، الذي كتَبَ في الثالث من آذار/ مارس قائلاً: إنه «وجدَ في عزف شوبان علامات على تجديد في الأشكال سيمارس في المستقبل تأثيراً كبيراً في هذا الفرع من الفنّ (مجلة الموسيقا، في الثالث من آذار). وكان «مندلسون» أيضاً من المتحمسين لأداء «شوبان» عند زيارته باريس. وكتَب أحد أصدقاء «شوبان» - وهو «أُنطون أُورلوفسكي» - قائلاً: اكتسحَ عزيزنا شوبان جميعَ العازفين على البيانو هنا، لقد أصابَ الذهولُ باريس كلّها، وسيطرَ الإعجاب على «ليسْت» الذي كتب في كتابه عن سيرة حياة «شوبان» بعد مرور سنين قائلاً: نتذكر كلُّنا ظهوره الأول في قاعة (بليل) حيث شعرنا بابتهاج عظيم، حتى إنَّ ذلك التصفيق الصاخب كان يبدو غير كاف أمام موهبة ستفتح مرحلةً جديدة في التعبير الشعريّ.

جعلَ النجاحُ الذي لقيه «شوبان» في حفلته الموسيقية الأولى في باريس، وكذلك الجوّ الكريم الذي كان في المدينة، والذي كان مغايراً للجوّ الذي كان قد شهدَهُ في «فينّا»، جعلا «شوبان» يُسْرع إلى تقديم حفلة أخرى. وهكذا، ففي العشرين من مايو ظهر «شوبان» في حفلة موسيقية أُقيمت لأسباب خيريّة، ونُظِّمتْ في صالة المعهد الموسيقي، ظهر في تلك الحفلة وهو يعزف الحركة الأولى الرئيسة في «كونشيرتو» في السُّلَّم الموسيقي السادس. وهنا أيضاً كانت المناسبة ذات أهمية، ولكنّها كانت أقلّ تأثيراً في الجمهور بالقياس إلى المناسبة الأولى. فالنغمة الضعيفة التي كان يُصْدرها «شوبان» من البيانو فشلت في مجاراة «الأوركسترا»، وجرى انتقاد الترتيب الفعلي للأوركسترا في «الكونشيرتو».

في نيسان/ إبريل من عام ١٨٣٥م، قدَّمَ «شوبان» آخر حفلتين موسيقيتين له أمام الجمهور الباريسي، ولكنَّ عدم نجاح الحفلتين أقنع «شوبان» بضرورة عدم الاستمرار كعازف على البيانو في الحفلات الموسيقية. وكان نجاحُه كمعلِّم ومؤلِّف موسيقي في حالة تعاظم، وكان هذا النوع من النشاط يتلاءم مع رغبته الحقيقية.

وكـان «شـوبـان» قـد قـدَّمَ في الحفلة الأولى من الحفلتيْن المذكورتيْن، أيْ في الرابع من نيسان عام ١٨٣٥م، «كونشيرتو» في السُّلَّم الموسيقي الخامس، ثم عزفَ لحناً ثنائياً مع «ليسْت»، وكانت استجابة الجمهور فاترة، وتعوزها الحماسة. وبعد أسابيع قليلة، أيْ: في السادس والعشرين من نيسان، استجمعَ «شوبان» شجاعته،

وقدمَ أداءه الأول لمقطوعته «اليولناز الكبير» بالبيانو والأوركسترا في صالة المعهد الموسيقي. وكانت تلك المقطوعة قد كُتِبَتْ قبل ذلك بعدة سنوات، غير أنَّ «شوبان» قد أضافَ إليها مؤخراً مقطوعة هادئة وحالمة ببيانو منفرد لتكون كمقدمة موسيقية. ولم يحقق «شوبان» في ذلك سوى نجاح متوسِّط فقط. وبعد هذه الحفلة الموسيقية، كان «شوبان» يعزف من حين إلى حين في حفلات صغيرة خاصة، ولكنّه توقَّف عن محاولاته للسعي إلى الدخول في ارتباطات كعازف على البيانو.

وأصبح «شوبان» الآن قادراً على تخصيص المزيد من الوقت للتأليف الموسيقي. وهكذا كتب مقطوعته المعروفة «فنتازية مُرْتجلَة»، وكتب كذلك موسيقا رائعة ومختلفة «للفالس»، وبعضَ المقطوعات من موسيقا «المازوركا»، وأكملَ كذلك مجموعتَه الرسمية الأولى من موسيقا «البولناز» مع قطعتين موسيقيتيْن مسرحيتيْن في السُّلَّم الموسيقي الثانوي.

ثم مرَّ «شوبان» بظروف عاطفية مُكربة للنفس؛ ممّا انعكسَ على بعض أعماله؛ مثل موسيقاه الملتهبة في «الشرزو الثانية» المحتوية على أقصى جوّ عاصف، وأقصى سكون، وكذلك مقطوعته الشهيرة «اللّحن الجنائزي»، الذي تمَّ إدخاله لاحقاً في «سوناتة البيانو الثانية».

قالوا في فن «شوبان» وشخصيته

– كان الموسيقيّ «ليسْت» يصف موسيقا «البولناز» التي أبدعها «شوبان»، وذلك في كتابه عن سيرة حياة «شوبان» بعد أنْ تركت تلك الموسيقا تأثيراً عميقاً في نفسه قائلاً: «يمكنك تشبيه الجزء الوسَطيِّ بالوميض الأول لفجر ليلة من ليالي الشتاء، فجر غائم وكئيب، هو حكاية لحلم بعد ليل من الأرق، هو قصيدة حالمة حيث تتكشَّف الصور والأشياء بأشكال مفكَّكة وغريبة، وبمقاطع انتقاليّة غريبة. والحركة الرئيسة في (البولناز) تحتوي على نغمة تنْذر بحدوث شيء مشؤوم كما هو الحال في الساعة التي تسبق العاصفة... ويبدو أنَّ هناك اندهاشاً يائساً يسقط على الأذن، هو تحدٍّ ينقذف على كلّ العناصر».

– أهمّ استعراض نابض بالحياة لفن «شوبان» هو الاستعراض الذي أتى من الموسيقي «ليسْت» أيضاً، والذي كان قد نُشِرَ في «مجلة الموسيقا» التي أسَّسها الموسيقي «فتي»، حيث كتبَ «ليسْت»: «في مساء يوم الاثنين السابق، وفي الساعة الثامنة، كانت صالات (بليل) مُضاءَة



بيت شوبان

بشكل متألّق، وكان هناك طابور لا نهاية له من عربات تكوَّمَت في أسفل درجات تلك الصالونات... وكان على المنصَّة بيانو كبير مفتوح، وكان الناس المحتشدون حول ذلك البيانو يتنافسون في الحصول على أقرب مقعد. وكان للناس الحقّ في أنْ يكونوا على تلك الدرجة من الشوق والاهتمام؛ لأنَّ الشخص الذي كانوا ينتظرونه وأرادوا رؤيته والاستماع إليه والتصفيق له هو شخص لم يكن مجرَّد فنان بارع أو مجرَّد خبير في العزف على البيانو، ولم يكن أيضاً مجرد فنّان واسع الشهرة... وإنما هو كل هذه الأشياء مجتمعةً، وأكثر منها بكثير، إنه (شوبان). وقد أظهرَ (شوبان) نفسه في تلك الحفلة الموسيقية -وكما هو في الواقع- إنساناً شاعراً وكئيباً وعميقاً وبسيطاً وحالماً».

– تحدَّثَ عن «شوبان» الفنان «شارلس هاله» – الذي أصبح فيما بعد أول مدير «لكليّة مانشستر الملكية للموسيقا»، والذي كان يعيش في باريس بين عامي ١٨٣٦ و١٨٤٨م قائلاً: «في تلك الليلة نفسها ذهبتُ لتناول طعام العشاء مع البارون (إيختال)، حيث لقيتُ معاملة ودودة جداً، وحيث استمعتُ إلى عزف (شوبان). إني أعجز عن وصف ذلك! والشيء القليل من العقل الذي كنتُ أمتلكهُ قد غادرني تماماً. وكان في وسعي القفز إلى نهر السين. وكلّ شيء أسمعهُ الآن يبدو تافهاً جداً حتى إنّي أُفضِّل ألاّ أسمعهُ أبداً.

كانت أهمَ الأعمال الأولى التي وضعها «شوبان» عندما كان طالباً هي مجموعة ألحان للبيان والأوركسترا



شوبان محل تكريم عبر العصور

(شوبان) ليس إنساناً، وإنّما هو ملاك، بلْ أعظم من الملاك. وليس هناك متعة قط أعظم من متعة الاستماع إلى مقطوعة موسيقيّة مؤلفها (شوبان)، ويعزفها (شوبان). وعند المقارنة بين (كلكبرنَر) و(شوبان) سيبدو (كلكبرنَر) كأنه طفل بالقياس إلى (شوبان). أنا أقول ذلك وأنا مقتنع به تمام الاقتناع».

وفاة «شوبان»

في الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٤٨م، ترك «شوبان» مدينة (لندن) عائداً إلى باريس بعد أنْ أصبح الآن مبتلى بمرض السلّ، الذي كان قد أصابَ سابقاً أُخته الصغرى «أميليا»، ولم يكن هناك علاج لمرض السلّ في تلك الأيام. وعلى الرغم من أنَّ صحة «شوبان» كانت تبدو جيدة في بعض الأحيان، غير أنَّ ذلك قد أصبح يتناقص، وأصاب الضعف جهودَه في مجال التأليف الموسيقي. ولم يشهد عام ١٨٤٨م سوى ظهور نُسخ من مقطوعة موسيقية سابقة للبيانو، كانت تتعلَّق بأُغنيته البولندية بعنوان «الربيع». وفي تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٨٤٨م حاول تأليف «فالس» قصير.

وفي ربيع عام ١٨٤٩م انتقلَ «شوبان» إلى «شيلو» إحدى ضواحي باريس الهادئة؛ أملاً منه في أنْ يكون جوُّها ملائماً لصحته، غير أنه سرعان ما أدركَ أنَّ صحته أخذت تسوء مهما كان المكان الذي سيسكن فيه. وأمّا جوّ باريس فقد كان يُخيفُه.

وفي الساعة الثانية من فجر السابع عشر من تشرين الأول عام ١٨٤٩م توفي «شوبان» وهو لم يُكمِل الأربعين من العمر. وكانت إلى جانبه أُختهُ الكبرى «لويز» وبعض الأصدقاء.

المتنبي يبحث عـــن حـلـــب

إلى حلب عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠٠٦م

عـامـر الـدبـك

حلب - سورية

وقف المتنبي في ساحة سعد الله الجابري[١]، تأمل كل شيء حوله، تأمل الناس واللافتات والإعلانات، ردد في سرّه: «كلما رحّبت بنا الروض قلنا حلب». وصمت، ثم بكى.

عندها دار حول نفسه كالمجنون، ثم أطلق على رأسه رصاصة من مسدس قديم، وسقط وسط الساحة.

واحتفاءً بهذا الانتحار الجليل، فقد قرر القائمون والجالسون والمتكئون أن يقيموا فوق قبره كرة عظيمة[٢] تشجع الشعراء على الانتحار[٣].

وقد وجد أحد العامة بين أوراق المتنبي التي تناثرت في الساحة هذه القصيدة:

(كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا)

أقلب طرفي والرؤى خاب كشفها ... ويلهج بالأحزان سراً لسانيا

أيطعن مقتول ويطلق قاتل ... وأصبح في عرف الحداثة جانيا؟

حببتك يا شهباء فانفرط الهوى ... كما انفرط القلب الذي كان حانيا

فمزقتُ أسمائي كمن ضاع سره ... وواجه عُري الريح في البرد عاريا

أمرُّ كأني في الدروب مشردٌ ... أودعُ في الحارات مَنْ كان وافيا

أودع أحلامي ومِنْ غير رجعة ... فلا كنتُ - إن ضاع الأحبة - باقيا

حببتك يا شهباءُ والحبُّ سنتي ... وما كنت أدري قد سننتُ فنائيا

أتيت لألقي بين كفيك صرختي ... وقد حزَّ روحي أن طويت ندائيا

فأحرقتُ أوراقي لأحرقَني بها ... لعلي إذا ما الريح صارتْ ردائيا

أعيدُ إليك الروح من عبث الردى ... وأبعثُ - إن ضمتْ يداك - رماديا

ولكنَّ ناري أطفؤوها بليلهم ... وشدّوا بحبل الحزن ليلاً وثاقيا

قصيدة



وقالوا: أتيتَ اليوم لا وقت عندنا   فمَنْ أنتَ حتى جئتنا اليوم شاكيا؟

ألم ترَ أنَّا قد نفضنا غبارنا   وساحاتنا أمسى بها اللحن عاليا؟

فقلت: إذا أنكرتموني فإنني   لتألفُني الحارات إن طفتُ ساعيا

وما أنتمُ قصدي ولكنَّ لهفتي   إلى حلب امتدت تضم القوافيا

أتيت لعلي أستعيد هنا الهوى   فأروي فؤاداً مذ ترحل صاديا

ففي حلب الدنيا تجلى خلودها   وها جئت فيها أستعيد خلوديا

فقالوا: كفى إحمل بقاياك راحلاً   مللنا من التاريخ وهماً مثاليا

ودعنا فإنَّا في الغناء خلودنا   ومن خطبة عصما ندكّ الرواسيا

فقلت: كفى قد ضاق صدري من الأسى   وما كان دهري - مثلما اليوم - قاسيا

لقد أقلقتني الريح لكنَّ همتي   كصخر وأحلامي تنادي فضائيا

حملت صروف الدهر والدهر واقف   وسرت إلى أن أصبح الدهر جاثيا

وما كان يوماً في يقيني بأنني   سينكرني أهلي وأطرد حافيا

وأني سأمضي كالغريب بلا فم   وحيداً على نفسي (تشلهمت) باكيا

وأني سأرمي كلَّ أسرار رحلتي   وأختنق في قعر الكلام سؤاليا

أما من حفيد قد تولى رسالتي   يقيم صلاة الشعر مذ كان صافيا

يعيد من الأحلام ما كان نائماً   ومن رحلة الأسرار ماكان خافيا

وما جئت إلا كي أرى في دياركم   مسافات مجد ضاق عنها خياليا

أتيت أرى الشهباء لكنَّ خيبة   أطاحت بأحلامي وأدمت صباحيا

فحطت سحابات من الحزن في دمي   كأني أرى ما لا يُرى في دمائيا

لقد بات فيها كلُّ شيء مشوّهاً   فقد ضيعوها واستباحوا تراثيا

كأني بها أمست بقايا مدينة   إلى الموت قد أمسى بها النجم هاويا

طلولٌ فأشباحٌ ووهمٌ مخادعٌ   وقطاعُ أحلام، كفى الموت شافيا

سأرحل.. لا شعري يعيد مدينتي   ولا أدمعي تحيي دهوراً خواليا

لعلي أرى الشهباء في قبر وحدتي   فأبعثها، فالقبر أمسى عزائيا

أضم بقاياها وأحيي رميمها   وأطلقها بيضاء للحب ثانيا

١- ساحة وسط مدينة حلب.

٢- كرة معدنية عظيمة أقامها المتنفّذون في ساحة سعد الله الجابري احتفاءً بالمناسبة، ولا فائدة منها سوى الصرف والبذخ المجاني، وكم تمنينا أن تصرف هذه المبالغ من أجل معرض للكتاب في ساحة سعد الله الجابري.

٣- وكاتب السطور كان أحد المتنحرين.



طفل ونجم بعيد!

سهيل نجيب مشوح
الرياض - السعودية

تخلّى عن حذره، واقترب من بؤسنا رويداً رويداً، حتى اندسّ بين صفوفنا أعزل لا يحمل من طفولته المدللة سوى صور غائمة تلمع في رأسه كل حين، وثياب أنيقة لا تليق بشوارعنا المتربة، وعطر يتبعثر أريجه بفضاءاتنا الملوثة.

هكذا، بدأ ماجد زحفه الحثيث نحو عالمي البسيط، كطفل يحبو فوق عشب الحدائق، ويتلفت حواليه مأخوذاً باكتشاف المشاهد الغريبة التي يصادفها، فيطيل النظر ببعضها كأنها من عجائب الدنيا السبع، يتأمل بعضها بدافع الفضول، ويعبر ببعضها الآخر متوجساً، ليخرج من عنق السعادة إلى أخمص الشقاء الذي يحيط بنا من كل صوب، فنقهره بالصبر والصلاة.

عبر ماجد شوارع العزل التي تفصل بيننا وبينهم، ودخل أطراف السوق فاتحاً على دراجته الصغيرة المزينة بالأشرطة والمرايا والأجراس، متمرداً على وصايا والديه، وتوغل في الأحياء المكتظة بالأطفال البائسين متحاشياً الاصطدام بهم بمهارة، ولم يجد في الأمر مخاطرة كما هوّل له أهله، وإنما هي محاولة ممتعة، وكشف فريد، وجرأة يحسد عليها من أقرانه في حيّهم السعيد.

كرّر المحاولة ثانية وثالثة، وقد أخفى أسرار مغامرته عن ذويه، فأفلت من عقابهم، وتحرر من قيود حذره أكثر فأكثر حتى وصل إلى مشارف المقبرة التي نقضي بين ساكنيها أطراف الليل وآناء النهار، ثم نعود إلى بيوتنا بعد أن يتعذر علينا اللعب تحت الظلمة الحالكة.

يراقبنا ماجد من بعيد. ويقرأ ذكرياتنا على جدران القبور، ويتنصّت على أحاديثنا وقصص الإنس والجن، ويستمع إلى كذبنا البريء، وعن أحلامنا البسيطة، وبعد أن يرى ويسمع ويطمئن إلى نياتنا تشتعل نار الغيرة في قلبه. فيقترب منا متجاوزاً حدود الأمان وخطوط الحذر والريبة، وتتلاشى من نفسه لذة الدفء والراحة الزائفة. وتتقد شهوة العبث والمغامرة.

كان ثوبي المقلم بالأزرق والأبيض هو بوابة الدهشة التي دخل منها ماجد إلى عالمي البسيط، مخلّفاً وراءه أصدقاءه المترفين يتسابقون على دراجاتهم الفاخرة في شوارعهم المضاءة ليل نهار، أو يلعبون الكرة على الأسفلت اللامع، ثم يخرجون - بثيابهم الأنيقة - للتنزّه في الحدائق المحيطة بمنازلهم، ليدخنوا لفافات السجائر، ويتناولوا الطعام وقطع الحلوى على المقاعد الخشبية الخضراء تحت أشجار السرو والزيزفون.

في حيّنا، لم تفلح هراوات الشرطة وعقوباتهم الرادعة، ولا صراخ الرجال وشتائمهم، ولا التهديد والوعيد في حماية الشجيرات التي تزرع كل عام، وما صمد منها، ونجا من العبث، فقد نما وترعرع في غفلة من الأشقياء، وتحت الحراسة المشددة من الرجال المتقاعدين لتكون ظلاً لهم في الظهيرات الطويلة.

ظل ماجد يزورنا شهوراً، وبقي على مسافة غير قريبة منا، يقترب حيناً، ويبتعد حيناً آخر، وكان مشتتاً بين مدّ الطمأنينة وجزر التوجس، حتى اعتاد الجميع على رؤيته بيننا على هذه الحال، ولم يعره أحد انتباهاً، فاقترب مني ذات يوم، وراح يبوح لي برغباته الصغيرة، وأحلام تطارده فيفر منها مذعوراً ليجد الأمان بيننا، إذ رأى الحياة بقسوتها علينا أجمل من الموت الوثير الذي ينعمون به في أحيائهم الباذخة، وقد رأى بعينيه رايات السكينة ترفرف على أبواب بيوتنا المتداعية، ورأى الحزن يتشظى حين نرجمه بالنكات والضحكات الصاخبة، ورأى أطفالاً في متاهة الجوع يبحثون عن مخرج يقووهم إلى وليمة الخلاص، ويتحلقون على طبق من ألم غير عابئين بمرارة الفاجعة. ورأى ماجد رجالاً يعيشون بلا ذاكرة: يغفرون للحياة قسوتها، ويسهرون معها على أرصفة التشرد إلى آخر العمر؛ يقتنصون منها لحظة فرح عابرة، ليحملوها إلى مثواهم الأخير، وسمع بأذنيه أنين المرضى الذين يتربص بهم الوجع في الغرف المظلمة، وصراخهم المتزايد طلباً للعون من يد حانية تكفكف أوجاعهم، أو قلب قاس يطلق عليهم رصاصة الرحمة. رأى ماجد وسمع كل هذا وذاك، ورآني أنتبذ ركناً قصياً تحت مساقط الشمس؛ أرتب أحلام اليقظة في رأسي، وأنهض من حزني على عجل لأمحو كوابيس البارحة عن جدران حيّنا. وأغسل أرصفته بدموع الفرح قبل أن تغرب شمس روحي باكراً وتذبل، فاختارني من دون تردد!!.

كبرت معه بلا هموم. وسار معي من دون خوف، فكانت الأرض تكبر وتستطيل وتتمدد لتتسع لأحلامنا الشاهقة، ومضينا معاً نغوص في أعماق الحياة نبحث عن أصداف السعادة، وندفن غضبنا وانكساراتنا هنا وهناك: ننجح حيناً، ونفشل أحياناً في إدراك غاياتنا البعيدة. وكان الفرات ملاذنا إذا مسّنا اليأس، وحين تخاصم روحانا سكينتهما، وحين تحاصرنا الحيرة، وتفر الأحلام من بين أصابعنا، ونشعر بالعجز، فينزوي ماجد بين ألعابه الإلكترونية وكتبه الملونة، وألوذ أنا برفقة أصدقائي المساكين وأحلامهم البسيطة في مقابر المدينة. نطيل الهرب كسباً للوقت حتى يلتئم غضبنا، وتندمل جراح هزيمتنا، ثم نلتقي من جديد: نبحث عن موج عالٍ يقذف بنا إلى ضفاف الأمل خارج دفء البيوت، وسكون الموتى المستسلمين.

نلتقي من جديد، ونحتفي بعودتنا إلى أوكار الشقاء بفرح غير معلن؛ نشرب نخب الألم والسعادة بالكأس ذاتها، ونشعر باللذة عينها، فنرسم أحلاماً جديدة، ونحلق خلفها بأجنحة غضة تتراخى في الفضاءات الملتهبة، لنحطّ فوق كثبان الخيبة؛ نتحسس أوجاعنا، ثم نتهاوى كتفاحتين ناضجتين.

تشتعل الحروب من حولنا بغتة، فنقفز من حقول الطفولة خلسة، ونوغل في فضاء اليفاعة، نتلفت في جهات الكون المتشابكة، فنرى حقائب ومسافرين، وبنادق تظهر في كل مكان، ونرى حزناً، وعيوناً غارقة في دموعها، وقلوباً يسكنها الخوف، وأيادي تلوّح مرتجفة، وأجساداً منهكة تبحث عمن يودعها في محطات السفر، فأستشعر شراً ووجعاً لا يبارح روحي. أقاوم ألمي بالانتظار، وقبل أن أبوح لماجد بهواجسي أجد قلبه يرتعش كورقة شجر، وفي وجهه شحوباً لايخفى، وعيناه تبحثان عن مخرج للنجاة استسلم لهزائم روحه، لضعفه، لفراشه الدافئ ورائحة عطره، لثيابه الأنيقة، وألعابه الفارهة. ناله الوهن، وتعب، فعاد صغيراً، طفلاً هزيلاً خائفاً، ثم غاب بعيداً.



كتاب
François Burgat
L'ISLAMISME
À L'HEURE
D'AL-QAIDA

الإسلامية في زمن القاعدة

تأليف: فرانسوا بورجا
نعمان عبدالرزاق السامرائي
الرياض - السعودية

كتب فرانسوا بورجا كتاباً جديداً جعل عنوانه: L. islamisme al heure d. al- Qaida، ومعروف عن فرانسوا أنه من علماء السياسة، ومدير أبحاث بمعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي، التابع للمعهد الوطني الفرنسي للبحث العلمي. وسبق أن ألف فرانسوا كتاب (الإسلامية بالمغرب العربي: صوت الجنوب) عام ١٩٨٨م، وصدر عن دار كارتالا، ثم عن دار بايو ١٩٩٥م بباريس، وله كتاب (الإسلامية وجهاً لوجه)، صدر عام ١٩٩٥م، ثم اختصر بطبعة «جيب منقحة» عام ٢٠٠٢م.

وقبل استعراض الكتاب الجديد يمكن القول: إن في فرنسا توجهات «سياسية - ثقافية»، يمكن رصد اتجاهين كبيرين منها:

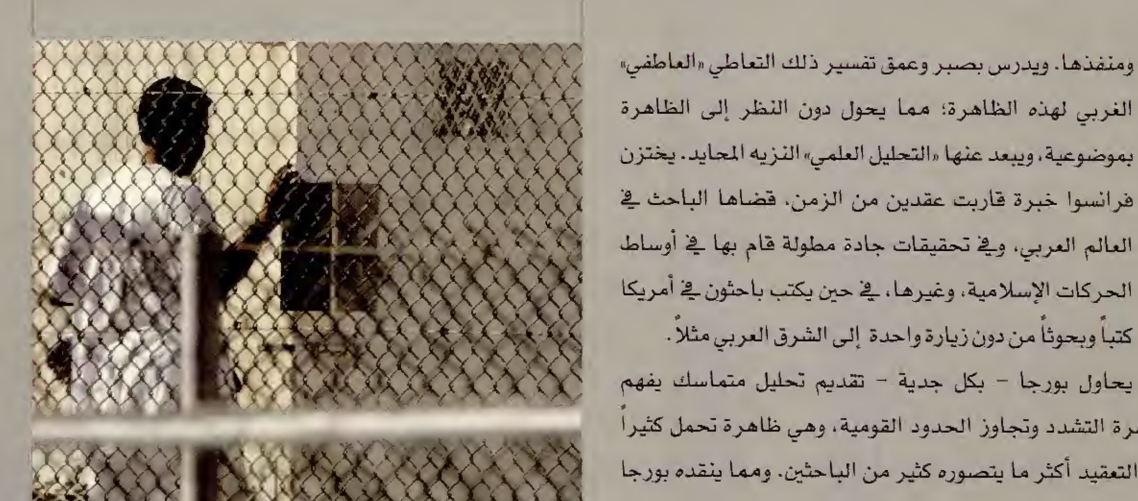
- الأول يؤمن بأن لفرنسا سياساتها الخاصة وثقافتها الخاصة، وهي تعمل لتوسيع (الاستقلالية) بتطلع ونَفس (ديغولي) بعيداً من السياسة الأمريكية والثقافة «الأنكلوسكسونية»، فهي تؤمن بأن أوربا ينبغي أن تكون لها شخصيتها واستقلاليتها عن السياسة الأمريكية البريطانية، ويمثل الرئيس السابق «شيراك» هذه الاستقلالية بشكل واضح.
- هناك تيار فرنسي لا يريد السير بهذه «الاستقلالية» والابتعاد عن السياسة الأمريكية البريطانية، وهو أقل حماساً أوربية وثقافية «معاكسة» لأمريكا وبريطانيا.

يحاول فرانسوا في كتابه الجديد أن يميز بوضوح بين أمرين:

- عودة شعبية قوية للدين في كثير من المجتمعات، ومنها «الإسلامية».
- محاولة ترجمة هذه العودة في المجال السياسي والاجتماعي تتمثل في رد فعل قوي ضد الغرب الذي استعمر العالم الإسلامي، ولا يزال يكيد له ويقف ضد أمانيه في السياسة والتنمية والتغيير.

إن فرانسوا يرصد ثلاث مراحل كبرى، هي:

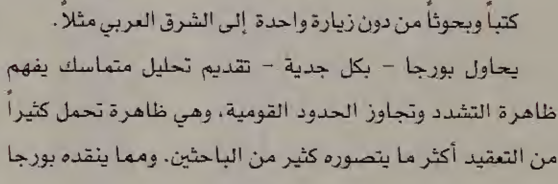
- الحضور والتمدد الاستعماري، إذ استعمر الغرب القارات كافة.
- مرحلة الاستقلال التي أنهت الاستعمار.
- مرحلة التوترات والخصومات الوطنية، والظواهر المتجاوزة للحدود والقوميات. ويدرس «القاعدة» هنا شارحاً أسباب التشدد. ويعقد فصلاً، هو السادس، ليفسر ظهور «القاعدة»، ويتبع ذلك بدراسة أربعة وجوه لهذه الحركة المتشددة، منطلقاً من سيد قطب إلى محمد عطا مهندس التفجيرات في أمريكا



حرب خاسرة قادها بوش

ومنفذها. ويدرس بصبر وعمق تفسير ذلك التعاطي «العاطفي» الغربي لهذه الظاهرة؛ مما يحول دون النظر إلى الظاهرة بموضوعية، ويبعد عنها «التحليل العلمي» النزيه المحايد. يختزن فرانسوا خبرة قاربت عقدين من الزمن، قضاها الباحث في العالم العربي، وفي تحقيقات جادة مطولة قام بها في أوساط الحركات الإسلامية، وغيرها، في حين يكتب باحثون في أمريكا كتباً وبحوثاً من دون زيارة واحدة إلى الشرق العربي مثلاً.

يحاول بورجا - بكل جدية - تقديم تحليل متماسك يفهم ظاهرة التشدد وتجاوز الحدود القومية، وهي ظاهرة تحمل كثيراً من التعقيد أكثر ما يتصوره كثير من الباحثين. ومما ينقده بورجا



بشدة الخيار الأمني الغربي في مواجهة التشدد. فيعدّ هذا الخيار فشلاً، بل لا يختلف عن خيار المتشددين. ويسأل باستنكار: هل صحيح أن العالم دخل بعد التفجيرات الأمريكية في مواجهة بين أنصار الحرية والتسامح من جهة والتهديد الإرهابي للمتشددين؟ ثم يطرح نظريته: إن التشدد الديني في جوهره سياسي أكثر منه ديني: فالتشدد يجرّ وراءه قليلاً من التشدد، وكثيراً من الدفاع عن مصالح سياسية واقتصادية، لكنها مغلفة بتعبيرات «الهوية والانتماء الديني».

يحاول بورجا تحديد مصطلح الإسلامية «لي إسلاميزم» في الفصل الأول، محاولاً تنقية المصطلح من الشوائب الانفعالية التي ألصقت به، حتى صار سهلاً اتهام الإسلامية بما نشاء من تهم بعيداً من الدراسة العلمية والموضوعية، فمهما حصل في الغرب من تهويل وتخويف، ومهما جرى من تمسك في الشرق بالمرجعية الإسلامية، فالكاتب يصرّ على رفع درجة التحدي مع استخدام الوسائل العلمية المتفق عليها في العالم، فمن حق الإسلاميين - عند بورجا - أن يعبّروا عن إسلاميتهم، وليس من حق أحد أن يصادر هذا الحق، كما أن من حقهم السعي الجاد إلى الكونية العالمية، فهذا الحق ليس مقتصراً على أناس دون غيرهم. والغرب يجد صعوبة في الإنصات إلى هؤلاء. لهذا السبب ولهذا الأمر، فالعولمة صادرة عن الغرب، وهم أهلها، وليس من حق غيرهم أن يستعملوها.

كذلك ينتقد بورجا بعض الإسلاميين الذي يفسرون صعود الإسلامية استناداً إلى العامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي، فالإسلاميون ليسوا فقراء منسيين من التنمية، لكنهم ليسوا أغنياء «منغمسين في ثروة نفط يبددونها ويبذرونها، ولا هم فتية أخرجتهم ديمغرافية غير متحكم فيها»، ولا هم «برجوازيين ورعين»، ولا هم نخبة من مثقفين، كما أنهم ليسوا عسكريين، ولا هم

يشن بورجا في خاتمة كتابه هجوماً لاذعاً على خيار «الحرب الشاملة على الإرهاب»، ويعلن أنها حرب خاسرة لا محالة

جاؤوا استجابةً ضد شكل من أشكال «الهيمنة». بل هم يتنوعون في التعبير عن إسلاميتهم، ويختلفون فيما بينهم، ومن الواجب العلمي النظر إليهم جميعاً من دون استثناء ولا تمييز.

المتشددون ضد تجديد الاستعمار

تقدم أن بورجا عدّد المراحل التي مرّ بها العالم الإسلامي من الاستعمار إلى الاستقلال، وهو يعدّ المرحلة الثالثة من بعد عام ١٩٩٠م مرحلة مقاومة «تجديد الاستعمار»، فالمواجهة الحالية هي بين تجديد الاستعمار ومقاومة هذا التجديد في العالم الإسلامي، فالاستعمار الأوربي السابق ذهب ليحلّ مكانه الاستعمار الأمريكي الجديد. ثم يذكر الكاتب وجود ثلاثة أشكال من الإقصاء والإنكار تعرضت لها الشعوب العربية والإسلامية، فأفرزت تشدد «القاعدة» كمولود «متوحش» لمظالم العالم، وهي:

- الإقصاء الأول يتمثل في انغلاق العمل السياسي وانسداده، والتضييق على النخب الجديدة من طرف حكومات «موالية للغرب» متسلطة دكتاتورية.
- والثاني يتمثل في الصراع العربي الإسرائيلي في حالتي الحرب والسلم والمفاوضات، فالغرب منحاز كلياً بلا خجل.
- والإقصاء الثالث يرتبط بالتحولات العالمية عقب سقوط المعسكر الشرقي السوفيتي، وتفرد أمريكا بالهيمنة والقرار.

ويسجل بورجا أن واشنطن سعت إلى عولمة «الخيار الأمني» في مواجهة الإسلاميين، وهنا جاء الرد من الإسلاميين بعولمة الرد وإعلان الجهاد والمقاومة. هكذا يفسر بورجا ظهور الجهاد والمقاومة الإسلامية وانتشارهما كرد فعل للخيار الأمني الأمريكي، الذي سمّي «الحملة على الإرهاب».

بعد هذا التفسير يحاول بورجا البحث في الفصائل الإسلامية المكونة للصحوة وصورها وأشكالها؛ ليدرس كيف انتقلت من القطرية إلى العالمية. ويسجل أن التيار «القتالي» اندفع بدايةً من أفغانستان، ثم البوسنة، وكوسوفو، والشيشان، إلى غيرها. ثم يسجل أن وسائل الاتصال ساهمت في عولمة «الإسلامية»، فعن طريق الفضائيات والإنترنت والندوات الإلكترونية، وغيرها برزت عالمية الإسلام للوجود، مع وجود الفكرة أساساً في الإسلام: فالإسلام؛ دين موجّه إلى كل العالم، ولمختلف العصور.



معالجات سياسية وإعلامية منحرفة

يشنّ الكاتب حملة شديدة شملت الفصلين الثامن والتاسع والخاتمة: للكشف عن إشكاليات إعلامية وسياسية «منحرفة» للإسلامية. بعض هذا الانحراف موروث من أيام المواجهات الاستعمارية، وتقسيم «الكعكة الإسلامية» بين دول الغرب الاستعمارية. وبعضها موروث تاريخي أقدم من ذلك. ويعرب الكاتب عن تفهّمه «الانحرافات الإعلامية»: بسبب خضوع هذه الوسائل للمعالجة الأمنية. لكنه يرفض بقوة انخراط الأكاديميين في هذه «المناورات السياسية» ليصبح الأكاديميون والمفكرون وغيرهم في خدمة أجهزة «المخابرات» المطلقة الأيدي، ويتوقف عند حالتي كل من برنارد لويس، وبرنارد هنري ليفي، وكتّاب آخرين يتبعون نهجهم، فهؤلاء يتهمون الإسلام بأنه «يحمل جنين العنف، ويحرض عليه»، وهو ما يحمل المؤلف على القول: إنه «اجتهد» في مؤلفه كله لبيان ضعف هذا الطرح وهشاشته؛ فالعنف ليس له عقيدة أو دين معين، وهو موجود في كل الثقافات والعقائد والقوميات، ويكفي ما حصل في أوربا من حروب دينية حتى اليوم. ثم يحمل حملة شعواء على من يسميهم «كاسحات ألغام أو أرانب سباق»، ويلقبهم بـ «أشباه مثقفين» هدفهم تشويه صورة الإسلام، وعرقلة سيره، وتعميق الحفر في وجهها». ولا يكتفي بذلك، بل يقدم نماذج من هؤلاء في الشرق الإسلامي، وجلهم من «الملحدين ويساريين ماركسيين» بلسان يميني متطرف. هؤلاء يصفهم بورجا بأنهم «مرضى بالإسلام»، خسروا معركة مزدوجة، أولها ضد فطرة التدين الإسلامي المتجددة، وثانيها ضد رجعية بعض الأنظمة الحاكمة في الشرق. ولأنهم – أي المرضى – يريدون الخروج من زاوية العزلة والتهميش التي حوصروا فيها، فهم يسعون إلى تقديم خدماتهم إلى الأنظمة التي طالما حاربوها من قبل، ولدوائر أجنبية غربية. ولأن بورجا لا يخاف أحداً

فهو يسجل نماذج - غربية وشرقية - منخرطة في هذه الحرب، ويسمي أحزاباً في الجزائر وتونس غارقةً في الحرب على الإسلام؛ إما تملقاً للغرب، وإما معاداة للإسلام، وإما هما معاً.

الحرب الشاملة على الإرهاب

يشنّ بورجا في خاتمة كتابه هجوماً لاذعاً على خيار «الحرب الشاملة على الإرهاب»، ويعلن أنها حرب خاسرة لا محالة، ويوجد سلاح كفيل بوضع حد للعنف بأنواعه، لكنه سلاح لا يقدر عليه «المرتهنون للنظام العالمي»؛ لأنه مكلف جداً، وخاسر جداً بالنسبة إليهم. هذا السلاح هو «القسمة»؛ أي: قسمة عادلة للثروات الاقتصادية والمالية والسياسية. وتعني القسمة العادلة قبول



الخطابات الأخرى، وكذلك العقائد الأخرى؛ لتكون لها حرية التعبير والظهور. ويضرب مثلاً بما جرى لبعض المستوطنين من الإسرائيليين فيقول: إننا نبكي من أجل مصير مستوطنين أكرهوا على ترك أراض لم تكن لهم، والتوجّه نحو مستوطنات أخرى، مع التمتع بتعويضات سخية، لكن علينا ألاّ ننسى إطلاقاً مصير الألوف من أولئك الذين محيت منازلهم في وقت مبكر من دون تهمة، وفي صمت بعيداً من أعين الكاميرات التلفازية.

إن القسمة العادلة تعني كذلك العطاء، كما تعني الأخذ، خصوصاً من جهة الذين من حقهم أن يأخذوا ما يجب أن يعطيه آخرون. أما مقاصد القسمة فالشجاعة السياسية الحقيقية، التي تهيئ لترسيخ حقيقي للأمن، فهي التي تمكن من قراءة أخرى للتوترات الدولية، قراءة لا تكون مرتهنة للخيارات الاختزالية لكل أولئك الذين يرفضون لهذا السبب أو ذاك، مع القبول بأن المسؤولية حول الإرهاب مشتركة، ويجب تحملها.

جوقة الذئاب والانتصارات السهلة

يتحدث الكاتب بأسلوب جميل مشخصاً الواقع والحالة الراهنة، فيقول: مادام صوت الجوقة الموسيقية «للذئاب» هو الصوت الوحيد الذي يسمع، وهو صوت متجذر، ويقوى يوماً بعد يوم، فإن أصوات السياسيين المهووسين بالبحث عن انتصارات سهلة تسوقنا إلى الكارثة. أما نحن فخيارنا - أكثر من أي وقت مضى، وهو خيارنا الأخير - إما القسمة العادلة، وإما الرعب المستمر.

شجاعة وإنصاف

تفسير بورجا يحمل الشجاعة والحكمة، أما منهجه فيتسم بالموضوعية والعلمية، وهو غير متهم بالانحياز إلى طرف، ولا المعاداة لطرف، وشجاعته تتمثل ليس في النقد فقط، بل هو يسمي الأشخاص والأحزاب والجماعات التي يتهمها بعدم الموضوعية، وبالتميز المعيب بسبب عداء عقائدي أو خدمة لجهات استخباراتية أو مصلحية، أو جبن عن قول الحقيقة.

إن دراسته التحولات العالمية تمنح منهجه صفة الموضوعية، فهو بعيد من الإغراءات التي تقدمها القنوات الفضائية الغربية، المتحاملة أكبر تحامل على الإسلام وأهله، والمتحيزة إلى إسرائيل أكبر التحيز. إن التدين يقوم عندنا على عوامل ذاتية، يحاول بعض الناس تجاهلها كلياً ليرسم لنا صورة مشبوهة، هي استمرار لبعض ما فعله مستشرقون متعصبون لا يرون فينا خيراً، ولا في ديننا ولا حضارتنا، ويتعامون عما يحصل في فلسطين، أو لبنان، أو العراق، أو أفغانستان، أو في السجون والتعذيب ونحن في القرن الحادي والعشرين. إن شجاعة فرانسوا وموضوعيته تجعلان كتبه جديرة بالدراسة والتقدير والاحترام.



الأطفال الكادحون ضحايا من؟

محمد محمود العطار

كفر الشيخ - مصر

الأطفال هبة عظيمة من الله للإنسان، يسعد الفؤاد بمشاهدتهم، وتقر العين برؤيتهم، وتستريح النفس بحديثهم، فهم زهرة الحياة الدنيا، وهم في الوقت ذاته مستقبل الأمة، وقوّاد سفينتها نحو الصراط المستقيم.

وهناك أطفال يقضون نهارهم في المزارع والمصانع والمحاجر والمناجم في ظل ظروف عمل قاسية، وأطفال يعملون خدماً في المنازل، وآخرون يباعون رقيقاً للعمل في الدعارة، وأطفال يتم اختطافهم من وسط أهليهم للانخراط في الجيوش وحمل السلاح والقتال. هذه الصورة ليست لأطفال يعيشون بعيداً منا، ولكنها صورة واقعية لملايين الأطفال من وطننا العربي تنتهك حقوقهم في كل لحظة، وفي كل يوم. أطفال في عمر الأزهار، وجوه شاحبة، وأجسام ناحلة، وظهور منحنية، وعيون ذابلة، وأيدٍ صغيرة ارتسمت عليها علامات شقاء السنين، مع أن العمر ما زال في بدايته!. هذه ببساطة شديدة هي ملامح الطفل العامل، والطفلة العاملة، الذين أصبحوا - رغماً عنهم - سنداً لأسرهم الفقيرة، ومصدراً مهماً للإنفاق عليهم، ويبقى هؤلاء الأطفال ضحايا ظروفهم الصعبة.

وتعد ظاهرة عمالة الأطفال وصمةً في جبين العالم المعاصر، ففي الوقت الذي حقق فيه الإنسان إنجازات علمية وتكنولوجية خارقة، فإنه لم يستطع أن يقضي على الظلم الاجتماعي، الذي يتمثل في ثالوث «الفقر، والجهل، والمرض»، الذي يدفع أعداداً كبيرة من الأطفال إلى سوق العمل؛ حيث يخضعون لظروف غير إنسانية من القسوة والاستغلال. وإذا كانت دول العالم الثالث هي المعنية أكثر من غيرها بهذه الظاهرة؛ بسبب أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، فإن الدول الصناعية ليست في منأى عن هذه الظاهرة، حيث سجلت لديها حالات كثيرة لأطفال يعملون في ظروف تشكل خطراً على نموهم البيولوجي والنفسي والاجتماعي.

وعندما نتحدث عن عمالة الأطفال؛ فإننا نقصد كل نشاط منتج يمارسه الأطفال، سواء بكيفية دائمة أم مؤقتة، والمعنى الذي نعطيه لعبارة (عمالة الأطفال) ينعكس على الإحصاءات والتقديرات التي تحاول إعطاء صورة عامة عن حجم الظاهرة، ومدى انتشارها في مختلف مناطق العالم.

وتشير إحصاءات حديثة صادرة عن المنظمة الدولية المتخصصة إلى وجود أكثر من ٢٠٠ مليون طفل في العالم يشتغلون في سوق العمل، ويعمل كثير منهم تحت ظروف قاسية أقرب إلى السخرة، وأن ١٤٠ مليون طفل في الدول النامية تراوح أعمارهم بين ٦ و١١ عاماً لم يلتحقوا بالمدارس.

والأطفال هم أكثر الفئات التي تدفع ثمن جنون هذا العالم، الذي نعيش فيه بحروبه وأمراضه وفقره. والسبب الرئيس في ظاهرة عمل الأطفال هو الفقر، إذ يدفع الأطفال إلى العمل في سن مبكرة، في ظل ظروف سيئة، وهو مايعرضهم للإساءة والاستغلال، ويحرمهم من التعليم، ويسلبهم كرامتهم. ويتفرع من الفقر كسبب رئيس عامل آخر، وهو انتشار الأمية. ويترتب على انتشار الأمية والفقر عدم

اقتناع الفئات المحرومة اقتصادياً وثقافياً بجدوى تعليم أبنائها. فالأسرة - بسبب أمية الوالدين - لا توفر الحافز المعنوي للطفل كي يقبل على التعليم، ومن ناحية أخرى فإن ظروفها المادية تضغط عليها لتشغيل أطفالها.

وفي الواقع، هناك قصور في القوانين والتشريعات في التعامل مع ظاهرة عمالة الأطفال، فعلى الرغم من توقيع أغلب الدول العربية على الاتفاقية رقم (١٣٨) بشأن الحد الأدنى لسن العمل، التي تلزم الدول بالتصديق عليها مع منظمة العمل الدولية، وتتضمن اتباع سياسات ترمي إلى ضمان القضاء الفعلي على عمالة الأطفال، وتحديد السن المناسب، فإن هذه المعايير تؤكد أن الطفولة يجب أن تخصص للتعليم، وليس للعمل.

إن جميع حقوق الطفل التي يكفلها القانون الدولي قد تم تفصيلها



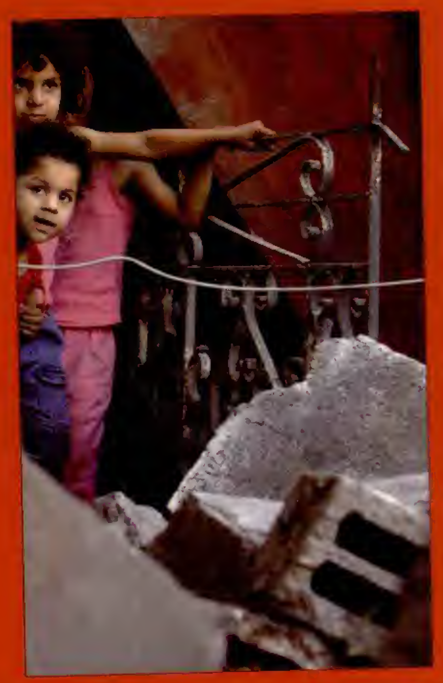
في إعلان حقوق الطفل الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٥٩م، وميثاق حقوق الطفل الذي دخل حيز التنفيذ عام ١٩٩٠م. وتنص تلك الإعلانات الدولية بوضوح على أن الأطفال ممن هم دون سن الثامنة عشرة لا يجب أن يسمح لهم بالعمل إلا في حالة أن تنص قوانين الدول الخاصة على أن سن الرشد هو أقل من ١٨ عاماً. ليس ذلك فحسب، بل تلتزم الدول التي تصدق على إعلان حقوق الطفل، وميثاق حقوق الطفل إصدار قوانين تحمي الأطفال من العمل، أو استغلالهم من البالغين، إضافة إلى ذلك فمن المفترض أن تشمل القوانين عقوبة للمخالفين من الآباء الذين يرغمون أبناءهم على العمل، وكذلك للذين يقومون بتشغيلهم.

إن مواجهة ظاهرة عمالة الأطفال، والحد من آثارها السلبية يعملان على استقرار الأسرة وتماسكها، وتوفير الحماية والرعاية للأطفال، فالمجتمع يعمل على إعداد الأطفال ليكونوا القوى البشرية المستقبلية المؤثرة في مسيرة التنمية الشاملة بتوفير المناخ الملائم لنموهم وتحقيق متطلباتهم.

كما أن عمالة الأطفال تعدّ ظاهرة ذات أوجه متعددة: اقتصادية، واجتماعية، وقانونية، وثقافية... إلخ. ويستدعي التصدي للظاهرة بذل الجهود على مختلف هذه الأوجه؛ حتى يتم محاصرة الظاهرة والتخفيف من حدتها كخطوة أولى نحو القضاء عليها. والقضاء على ظاهرة عمالة الأطفال لن يتحقق إلا بالقضاء على الفقر، ورفع المستوى الثقافي والتعليمي للشعوب التي تنتشر بها هذه الظاهرة.

إن الطفل العامل يحتاج إلى الحماية، وإلى تدخلات سريعة وفعالة، وذلك في ضوء ما يهدد براءتهم وسلامة نموهم النفسي والبدني، وذلك من خلال الآتي:

- العمل على إنشاء قاعدة بيانات لتحديد حجم ظاهرة عمل الأطفال بدقة، ووضع البرامج المناسبة للتصدي لها.
- توحيد الجهود، ودعم قوى الخير في العالم لإنقاذ الطفولة، وتغذيتها بالقيم الإسلامية الخلاقة المبدعة.
- العمل على تقديم الهيئات والمنظمات الحكومية قروضاً صغيرة للأسر تدرّ دخلاً يعوّضها من دفع أبنائها إلى سوق العمل.
- التزام جميع الاتفاقيات الدولية الصادرة عن المنظمات الدولية، وخصوصاً الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل.











كم قنبلة تكفي لهذا الطفل؟ وكم طناً من الفسفور القاتل يليق لأن يقدّم وجبة دسمة لعائلة غزاوية؟! هل ثمة حد لهذا الجنون؟ بل ترى أي سؤال يتناسب مع هذا العهر وهذا الفحش النازي؟!

«إننا باقون رغماً عنهم».. هذا ما قالته سيدة فلسطينية - بيقين راسخ - وهي تشير إلى ركام بيتها الذي هدمته النازية الإسرائيلية.

إننا باقون.. كلمات تلخص حقيقة الجغرافيا والتاريخ. وإسرائيل بكل صلفها النازي تدرك ذلك جيداً، فهي كيان مصطنع يقتله السلم الطويل، والحرب الطويلة، إن آجلاً أو عاجلاً.

ع. الكويليت



2008
1948
Palestine



ISRAEL USES INCENDIARY BOMBS IN GAZA
STOP THE WAR IN GAZA



CEASEFIRE!
GAZA
END THE WAR IN GAZA NOW!



GAZA



The International Committee of the Red Cross (ICRC) said the paramedics found "shocking" scenes of wounded people including children huddled together in houses among dead bodies, weak after having had no food or water for several days.
STOP THE MASSACRE IN GAZA!
GAZA



FOR PALESTINE



GAZA
NEEDS OUR
VOICES



SAVE
Gaza



FREE
PALESTINE
NOW
HTTP://FREEGAZA.ORG



APARTHEID



Gaza...
WE CRY AND NOBODY HEARS US



ANATOMY
of
MURDER
ISRAELI STATE
TERROR AGAINST
THE PALESTINIAN
PEOPLE



END
THE
WAR
IN
GAZA
WORLD'S LARGEST PRISON

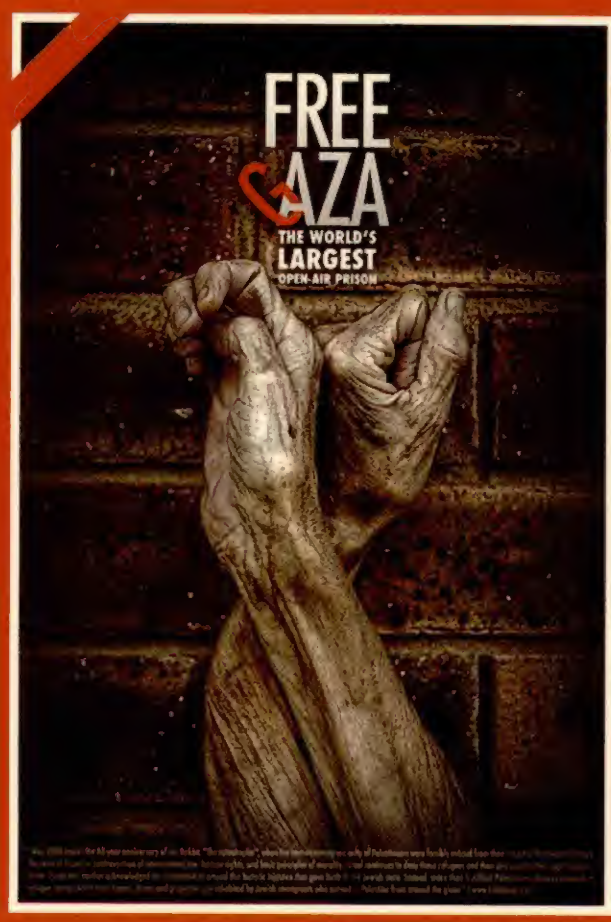


Are you blind UN?



PALESTINE FROM 1952-2009




FREE
GAZA
THE WORLD'S
LARGEST
OPEN-AIR PRISON


FREE
GAZA
THE WORLD'S
LARGEST
OPEN-AIR PRISON
Wagga Wagga: 4,800km² | Population = 55,000
Gaza: 360km² | Population = 1.5 Million
DOES THAT LOOK RIGHT TO YOU?